جريمة في الشارع الرئيسي

رواية

جريمة في الشارع الرئيسي

ذويزن الشرجبي

اسم الكتاب: جريمة في الشارع الرئيسي
اسم الكاتب: ذويزن الشرجبي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: ذويزن الشرجبي
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ديسمبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

للنشر والتوزيع
Arabic Library

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

FCIS

الإهـداء

إلى كل من وقف معي وساندني

لأجل إنجاح هذا العمل المتواضع

مهـران فــي سطــور

مهران كأي شاب عادي يعيش في مدينة عدن، المدينة التي لا تنام لكنه اختلف بعض الشيء عن البقية باهتماماته التي ظهرت من بدايات حياته، فقد ورث ثروة من جده الراحل لا تقدر بثمن، ألا وهي مكتبته الكبيرة، والتي عكف على تجميع محتوياتها من مختلف اسفاره وجولاته، إذ كان جده لا يعود من أي رحلة يقضيها أو سفر إلا ويحضر معه غنيمة متنوعة من الكتب والمقتنيات القيمة، فمنح هذا صديقنا القدرة على التفرد والابداع عن غيره من الناس، مستعينا بما عنده من علوم ومعارف مكتسبة، فقد تعددت مهارات بطلنا التي استخدمها في مغامراته فنرى استعانته بعلم المقذوفات النارية، وآثار لطخ الدم كما في (لغز القصاصة الورقية) وتعامله مع البرمجيات الذكية والسيبرانية كما في قضية (رسالة من المستقبل)، أو ما تطرق إليه من التفكير الادراكي ذا الاحتمالات المتعددة.

أو التفكير من وجهات نظر متعددة والذي يطلق علية بالغاز الغرفة المغلقة كما في (جريمة في الشارع الرئيسي) وإتقانه لمختلف العلوم والمعارف الأخرى مثل: ديناميكا الطقس أو الكيمياء الحيوية أو الفيزياء التجريبية أو علم الفسلجة أو علم الفلك والفضاء الخارجي، والكثير غيرهم من العلوم مع وجود كل هذه الصفات والمواهب في شخصية خيالية واحدة.

ظهور مهران للمرة الاولى كان في عام ٢٠١٦ عبر صفحات مواقع التواصل الاجتماعي في رواية (جريمة في جزيرة الموج الهادئ) حيث تم نشر بعض الاقتباسات للرواية ثم تلى ذلك ظهوره عام ٢٠١٧ في (لغز القصاصة الورقية) و(حيلة صندوق العدّة) وبعدها عام ٢٠١٨ باقتباسات أخرى في (جريمة في الشارع الرئيسي) ثم في رواية في عام ٢٠١٩ في وقت كان توفر مثل هكذا كتابات ادبية محلية تكاد تكون منعدمة الوجود تماما ولكن ذلك لم يكن سببا مانعا لاستحالة ولادة بطلنا المحقق.

الفصل الأول

كانت صبيحة ذلك اليوم ممطرةً بشدة، وكان أحد أيام شهر سبتمبر من تلك السنة، آثرت يومها البقاء في المنزل؛ كوني لم أجد أي فرصة مواتية للخروج في ظل هذا الطقس السيء، فكان هذا الجو مثاليًا بالنسبة لي لأخذ غفوةٍ قصيرةٍ، لكن ما حثّني أكثر على البقاء مستيقظًا، هو امتلاك حسام ابن عمتي لجهاز ألعاب إلكتروني جديد، قضينا معه معظم ساعات النهار في صالة استقبال المنزل ذات الفرش الوثير والتلفاز واسع الأركان، قضيناها بلعب مباريات كرة القدم الجولة تلو الأخرى، وقلت لابن عمتي بعد عدد من الجولات مادحًا الجهاز الإلكتروني الجديد:

هل تعلم يا حسام أن الأجهزة القديمة لم تكن مسلية للَّعب بالكامل.

رد حسام متسائلاً: ماذا تقصد بهذا الكلام...؟

الذي أقصده بكلامي أنه قبل أكثر من ثلاثين عامًا تقريبًا، كانت الأجهزة المتوفرة حينها بسيطة التصميم ومحدودة المتعة، فما أن تنتهي من اللعب وتطفئ الجهاز وهذا بالطبع ولبالغ الأسف بعد ساعات قليلة تقضيها في استخدامه، حتى تمحا نهائيًا جميع بيانات التقدم الخاصة باللاعب والتي قام بإحرازها حتى اخر مرحلة وصل إليها، وذلك لأن الكثير من الأجهزة القديمة لم تكن تحتوي في تلك الفترة من الزمن على حاويات مدمجة خاصة، وظيفتها حفظ مستوى التقدم في تطبيق اللعبة، أو حتى نظام خاص لتسجيل هوية المستخدمين، ربما لعدم قدرتها وقتها على إمكانية التخزين الداخلي لبساطة التقنية المستخدمة في تصنيع الجهاز، أو لربما أن الأمر يرجع إلى سياسة الشركة المصممة له.

اردف حسام مضيفًا إلى كلامي وقال في إطراء:

ولكن الأمر اختلف كثيرًا الآن كما ترى، حتى في مستوى تصوير البيئة الرسومية وإتقان تصميم شخصيات اللعبة.

أمّنت على كلامة قائلاً:

- نعم معك حق فيما قلت...، ثم سألته متحيراً. ولكن قل لي أين أخوك مجد، إني لا أرى له أي أثرًا في المنزل، ولا أسمع له صوتًا حتى، انا مستغرب انه لم ينظم لنا في اللعب...؟!

أجاب حسام بنوع من اللامبالاة وهو منهمك بنظرة على شاشة التلفاز، ضاغطًا على أزرار التحكم بسرعة:

- مجد...، إنه في الخارج يلعب مع بقية أطفال (الحافة).

- في الخارج...، هتفت مستنكراً، وفي هذا الجو السيء، ألا تخشى عليه من أن يصاب بالبرد تحت كل هذا المطر المنهمر...؟!

هز حسام رأسه بحركة بسيطة ثم قال:

- لا تقلق عليه...، لن يصيبه مكروه...، إنه يحب هذا الشيء.

عقَّبت على كلام ابن عمتي متعجبًا من اسلوب تجاوبه وردة فعلة الغير مكترثه وقلت له:

- حسنًا كما ترى أنت لكن اتمنى ان تكون العواقب سليمة...

ثم بقينا على هذا الحال بعدها وقتًا طويلًا، فمع الانهماك الشديد في جولاتنا المتتابعة لم أدرك أننا قضينا ساعات عديدة، وأن المطر قد توقف عن الهطول منذ فترة، وأن الشمس قد قاربت على الزوال، في ظل هذا الجو الملبِّد بالغيوم، حتى نادت علينا عمتي أم حسام من المطبخ قائلةً:

- هيا يا حسام متى ستذهب إلى بيت جدتك وتحضر ما أخبرتك به..؟

رد حسام بتململ ظاهر مشيحًا بيده على قفى رأسه قائلًا بصوت مسموع:

- حسنا يا أمي...، بقي القليل لي، سوف أكمل هذه الجولة وسأذهب فور انتهائي منها.

أردفت عمتي بنبرة انزعاج بدت واضحة على صوتها وقالت:

- عن أي جولة تتحدث، وهذا الكلام تكرره لي منذ الظهيرة، لقد اتصلت جدتك أكثر من مرة تسأل عن موعد وصولك، إنها قلقة جدًا عليك...

- أخبريها أنني سوف آتي بعد قليل، الآن سوف أنتهي...

فردت عمتي بانزعاج أكبر وقالت:

- مضت لك إلى الآن أربع ساعات متواصلة وأنت لا زلت تكرر لي هذه الكلمات، متى ستكمل جولتك تلك وتنتهي من هذه اللعبة، هيا أسرع قبل أن يأتي الظلام...

التفت إليّ حسام مبتسمًا بفم مفتوح وعلى وجهة علامات الاندهاش وقال:

- ههه...، لقد قالت قبل أن يأتي الظلام، إنها تخاف عليّ من الليل والظلام...

ثم قهقه ضاحكاً...

رددت عليه وقلت: أخبرها أنني سوف أرافقك إلى بيت الجدة.

هتف حسام مستبشرًا وقال:

- حقًا سوف ترافقني...!

- نعم أريد أن أتمشى قليلًا على قدميّ في الشارع، ومددت قدمي الخاملتين، ثم اكملت: فبعد كل هذا الجلوس الطويل لا يوجد أفضل من جولة بسيطة خارج المنزل بعد توقف هطول المطر تحت هذا الجو اللطيف،

أريد أن أرتشف كأسًا من الشاي وأتناول بعض قطع (الخمير) من أحد المقاهي التي تتواجد على طول الشارع الرئيسي، أوليس بيت الجدة يقع في منطقة المعلا.

- نعم إنه هناك، يمم حسام على كلامي. ثم أكمل: في تفرع صغير يبعد قليلًا عن الشارع الرئيسي.

هتف حسام بعدها لأمة وقال:

- لا تقلقي يا أمي...، أحمد سوف يرافقني إلى بيت الجدة.

ردت الأم برضى ظاهر على كلام ابنها وقالت:

- حسنًا إذًا...، ولكن لا تتأخرا أكثر....

وهكذا أخذنا فرصتنا للاستمرار في اللعب لبعض الوقت، وما إن اقتربت عقارب الساعة من السابعة مساءً، حتى استعدينا للتوجه لبيت الجدة، فسبقني حسام لتشغيل سيارته، محاولًا إدارة مفتاح محركها، وبقي على هذه المحاولة لفترة طويلة، لكن دون جدوى، فيا للأسف فمحرك السيارة لم يدر إطلاقًا، واستمر حسام بتكرار محاولته ولكن دون تحقيق أدنى نتيجة تذكر.

فأشرت له وقلت:

- افتح غطاء المحرك، أريد أن ألقي نظرة سريعة علّي أجد العلة من المشكلة.

فتح حسام غطاء المحرك، وشرعت قبل كل شيء بتفقد حالة بطارية السيارة، فكانت النتيجة حينها مثل ما تصورت تمامًا، وقلت له:

- متى آخر مرة تفقدت فيها بطارية السيارة...؟

- ليس ببعيد، منذ فترة وصولك من السفر، قبل شهرين تقريبًا.

هتفت مستنكرًا على كلام ابن عمتي وقلت:

- منذ شهرين...!!، ولم تهتم حتى بإلقاء نظرة ولو خاطفة على البطارية لتتأكد من سلامتها...!

اخرج حسام رأسه من نافذة السيارة وقال باستغراب:

- لا...، لماذا تسأل هذا السؤال والبطارية ما زالت جديدة، قبل ثلاثة أيام قدت السيارة حتى خط البريقة ولم أواجه أي مشاكل تذكر...!

- لا...، لا شيء مفيد أخبرك إياه يرقى إلى لمستوى التوقعات الجيدة، ولكنني أبشرك أن البطارية قد توقفت عن العمل...

هتف حسام بي متعجبًا من كلامي وقال:

- ماذا حدث...!؟ لماذا تقول مثل هذا الكلام...!؟

- تعال وانظر هنا بنفسك لأقطاب البطارية. واشرت لموضع البطارية، سترى أنها مغطاة بالكامل بطبقة كلسية بيضاء سميكة، وهذا ما يحصل عند إهمال صيانتها وعدم الاعتناء بها لفترة طويلة من الزمن، وفي النهاية تتلف البطارية وتعجز عن توصيل الطاقة بعد أن تكون قد استهلكت نفسها ومن غير جدوى، نتيجة لتبخر سوائلها الكيميائية في جونا الحار والرطب، وهذا الأمر للأسف ينطبق على بعض البشر أيضًا، وهذه حقيقة محضة...

رد حسام على كلامي بسخرية وتهكم قاضباً فاه وقائلًا:

- هيا يا أستاذ حقائق، تعال معي بسرعة لنلحق ونستقل أقرب (باص) يوصلنا إلى بيت جدتي، وإلا ستجعلنا عمتك ننام الليلة من غير طعام العشاء، وأعتقد أن هذه أيضًا ستكون حقيقة.

اندهشت حينها من تعليق حسام الساخر، وضحكت ضحكة باهتة، وبادرت محتويًا الموقف وقلت:

- حسنًا إذا لنذهب، وسأهتم بدوري بصيانة البطارية عندما نعود للمنزل.

توجهنا بعدها إلى مكان تجمع (الباصات) المؤدية إلى منطقة المعلا، نزولًا من منطقة الطويلة، واخترنا وقتها المشي على طول سوق (البز) كونه كان أكثر المسالك المختصرة في طريقنا، فشاهدت في أثناء مشيي المباني القديمة المتراصّة، التي تعود إلى بدايات القرن الماضي، والبائعين المتجولين للسلع الاستهلاكية والأساسية المختلفة، والذين افترشوا رصيف الشارع بأجربتهم المليئة وبضاعتهم الجيدة، ولا ننسى أيضًا ما اشتهر به الشارع لما احتواه من محلات كثيرة لبيع مختلف أنواع الأقمشة والملابس التقليدية العدنية والمستوردة التي ملأته حتى آخره، مشينا على طول الطريق بهدوء وروية وسط الحشد الكبير من المارة والبائعين المتجولين، فقد سحرني المنظر، وادهشتني طبيعة تكوين هذا الشارع البديع. ثم لحقنا عند وصولنا إلى ركن (البنك الأهلي) _في نهاية الشارع_ بإحدى الحافلات الصغيرة التي تمر بالموقع، فأخذت الأخيرة السير في طريقها على طول شارع الملكة أروى، _صاعدين للأعلى_ في الطريق الذي كان اشبه بمنحدر صغير مرورًا

بمنطقة مسجد أبان، ومن ثم مكتب إدارة الاتصالات المحلية، ومنطقة (سالم علي) وأخيرا دوار (العقبة) العريق في قمة الشارع، وهكذا دواليك، غير أن الحافلة أخذت حينئذٍ وقتًا طويلًا في مسيرها، إذ تعوَّد السائق اللجوج على التوقف المستمر ليحمِّل الركاب من على طول الطريق، دون مراعاة لاحتياجات الركاب وبشكل مزعج جدًّا، وهذا ما أصابنا بالملل خاصة ابن عمتي حسام، الذي افتقد بشدة لعبة كرة القدم، وإحساس الضغط على ازرار التحكم، فقضى الطريق كله يذكرني بأسماء اللاعبين وجنسياتهم، وعن أي تشكيلة سيستخدمها في مباراتنا القادمة ليهزمني بها، مع معرفته التامة بعدم إجادتي للعب...

استمر الحال علينا على هذا المنوال إلى أن وصلنا أخيرًا في نهاية المطاف إلى وجهتنا بعد عناء طويل، إذ كانت الساعة عندئذ قد تعدت الثامنة مساءً، فترجّلنا من على وسيلة نقلنا بانشراح وسرور عند إحدى المنافذ التي تطل على رصيف المشاة، وتنفسنا الصعداء، ومشينا عندها على امتداد الشارع الرئيسي، بقصد الوصول إلى المدخل الفرعي المؤدي إلى بيت جدة حسام، حيث تميز الشارع عن غيرة بالطول والازدحام بالمارة وعربات النقل

كحد سواء، ولكن ذلك لم يمنع وجود التنظيم والتنسيق لباحاته الواسعة ومبانيه العالية التي ارتصت على طوله، ليسر علينا ذلك في الأخير مشوارنا.

لم يمضِ بعد على مشوارنا القصير دقائق معدودة حتى تراءت لي من البعيد اضواء بدت مألوفة جدا، كانت هي الاضواء المتقطعة والمحمومة نفسها بلونيها الأحمر والأزرق والمميزة لسيارات الإسعاف، فهممنا بالإسراع صوب المصدر القادمة منه في وجل ولهفة، وما إن دنونا من الموقع حتى تبينت لي الأمور...

رأيت منظرًا سيئًا ومشؤومًا على رصيف الشارع، إذ وقع حادث فظيع جدًّا أمام بوابة إحدى العمارات المطلة على الشارع الرئيسي، رأيت من عن بعد ومن فوق اكتاف المتابعين شخصًا ملقىً على الأرض مغطىً بقطعة قماش بيضاء كبيرة قد تضرّجت بدمائه بكثافة، ومحاطاً من كل جانب بجمع غفير من المتفرجين والمتابعين بترقب، الذين تدافعوا في ما بينهم بتوتر وفضول، والذين تفاوتت ملامحهم الشاخصة ما بين المصدوم والمرعوب.

الفصل الثاني

قطع الطريق، وكثر الزحام، وازداد عدد المتفرجين شيئًا فشيئًا بالقرب من ساحة الحادث، ولكن من على مسافة، فقد وصل البوليس الجنائي، وأمّن الموقع جيدًا، ووضع الشريط المصفر الذي يحذر بتاتًا من الاقتراب، ودنا ذلك المحقق المختص بحقيبة معداته، ليرسم بالطباشير حدودًا حول الجثة الملقاة أرضًا، ويتبين حالتها ووضعية سقوطها، بينما أخذ زميلة الآخر يضع لوحات صغيرة، عليها أرقام مختلفة، بجوار كل ما هو مرتبط بالحادث، أما الأخير منهم فانهمك بالتقاط صور عديدة لكل ما سبق، من زوايا متعددة بعد أن فرغ زميلاه من عملهما، يلحظ الحالة الخاصة للضحية عن قرب، والدلائل الناتجة عن الحادث، قبل أن يرسلها فريق النقل المختص في آخر المطاف للمشرحة. ثم ازاد تجمهر المارة قرب الموقع بشكل أكبر عن ذي قبل، وأخذوا يثرثرون ويتهامسون في ما بينهم حول الأسباب التي أدت لوقوع الحادث الاليم، فقال رجل عجوز منهم:

- (يا ساتر، أيش اللي حصل هنا...!)

وقال آخر بقلق واضطراب:

- مصيبة...، كيف ستعمل خطيبته...؟

وأخذ اثنان آخران يتجادلان حول علو الشرفة التي وقعت منها الضحية، ويتشارطان على امور تافهة لا شأن لهم بها.

وقال متفرج مستهتر وممتعض:

- هل انتحر بعد أن جمع كل هذا القدر من النقود وقفز من الشقة التي اشتراها مؤخرًا، هذا مالا يصدقه العقل إطلاقا، هذا (واحد بطران)...

وهمس ذاك الأخير لنفسة الذي أخفى وجهه بعناية ووقف خلف جموع الناس بخبث وقال:

- لقد استحق ما حصل له...

حاولت صرف اهتمامي بعيدًا عن الموضوع بمجرد ان تبينت ما يحدث قدر المستطاع، كوني لم أرغب إطلاقًا بالتدخل في القضية، ومن اين لي شأن بها اصلاً، فهممت بالابتعاد عن المكان بسرعة، وجذبت حسامًا من مرفقه بعد أن رأيته قد بدأ يحشر بنفسه بين افواج المتفرجين ويقف في الصفوف الاولى وقلت إياه:

- هيا بنا نذهب، لندع الأمر لأصحابه ولنمضِ في طريقنا...

قاطعني حسام بتلكؤ وقال:

- انتظر قليلًا، أريد أن أعرف كيف وقع الحادث، الكثير من الموجودين لا يعرف ما حدث بالضبط، ولكن هناك شائعة يقولها بعض الناس أن الشاب قد ألقى بنفسه متعمداً من على شرفة شقته الخاصة.

ثم أشار حسام بأصبعه إلى الأعلى واكمل قائلاً:

- انظر هنالك، إلى تلك الشقة العالية.

رفعت نظري إلى حيث اشار حسام وبقيت ناظرا في تأمل، إذ كانت الشقة عالة جدا كما يقول، وقد قاربت الخمسة طوابق، وظهرت شرفتها الساكنة دون حياة تلوح وسط الظلمة بصمت مخيف محاطة بالملائات والستائر التي تدلت من الشرف المجاورة وخفقت ترفرف بعصبة تحت تيار الريح العاصف، والذي كان بمجملة منظرا يبث القشعريرة في الجسد بمجرد التفكير بالسقوط من هذا الارتفاع الشاهق، ولكني رددت عليه بانزعاج ونفاذ صبر بعد ان كرهت هذا المشهد وقلت:

- هذا الأمر ليس من شأننا إطلاقًا، ألم نكن منذ قليل متوجهين في طريقنا إلى بيت جدتك، او قد نسيت الامر بهذه السرعة.

هتف حسام بانفعال مصدرا صفيرا من فمه وقال:

- أووووف...، لقد نسيت الأمر كليًا...، هيا بنا بسرعة وإلا غضبت جدتي علينا.

تمتمت حينها بكلمات لكتها بفمي بسرعة وقلت له ممتعضًا:

- تغضب علينا وأنت الذي كنت منجرفًا بشدة بين التيارات النهمة لأمواج الفضوليين.

تابعنا المشي بعدها في طريقنا، وابتعدنا تدريجيا عن الحشد، وانعطفنا عند أحد الأزقة الجانبية التي أوصلتنا مباشرة لوجهتنا، فرأينا الجدة من بعيد تقف أمام باب منزلها تحت ضوء عمود الانارة تكلم إحدى النسوة باهتمام ظاهر وتأثر بدت من حركات يدها، وما إن لمحتنا المرأة مقتربين تجاهها حتى تركت الجدة بسرعة ومضت في سبيلها.

استقبلتنا الجدة وقتها بحفاوة وسعة، وقال لها حسام مطمئنًا إياها:

- انظري يا جدة سوسن من أحضرت معي...

في تلك اللحظة نظرت الجدة سوسن إلى وجهي بشرود لبرهة، ثم إني علمت أنها تعرفت على صورتي من رؤية ملامحها الرضية وقد اجتاحتها مسحة من الحزن والبهجة في آنٍ واحد، سرحت حينها في عقلي من فرط تأثري بالمشهد بمجرد أن وضعت كفيها النحيلين على وجنتي، وأخذت تحدِّق في وجهي باهتمام مرهف بعينين متأثرتي مبتلتين مقلتاها المبيضتين بالدموع، وأخذ ذقنها الصغير بالارتجاف من شده تأثرها برؤيتي.

تدارك حسام الموقف في حرج وقال:

- هيا يا جدة سوسن ندخل للبيت، سوف تصابين بالسوء في هذا الجو البارد...

هزت الجدة رأسها وردت بتؤدة قائلةً:

- هيا يا (ابني) هيا...

في الداخل اتخذنا أنا وحسام مكانًا لنا لنجلس فيه في غرفة جانبية أعدت للضيوف، والتي فرشت أرضيتها بمجلس عربي تقليدي، وتوسطت ساحتها سجادة حمراء بديعة التصميم، وزينت جدرانها بقطع قماش مصبوغة ومطرزة لمناظر طبيعية وحيوانات أليفة، واكتنفت في زاويتها على

خزانة خشبية كبيرة محتوية على رفوفها الكثير من القطع والتحف الفنية المصنوعة من الفخار والخشب، ومجموعة كبيرة من الأدوات المنزلية الزجاجية والمعدنية الصنع، وصور قديمة لبعض أفراد العائلة من مختلف الأعمار، وآيات قرآنية بخط عربي جميل، فاجتاحتني وقتها مشاعر غامرة بالبهجة والانشراح بعد رؤية كل هذا المنظر البديع واللطيف معًا، مستعيدًا في ذاكرتي أيام طفولتي القديمة، ثم ما لبثْتُ أن أقبلت علينا الجدة سوسن حاملة بكلتي يديها صينية فضية صغيرة، بديعة التصميم والزخارف، احتوت على الكثير من الكعك والمكسرات، وعلبتين من المشروب الغازي، فقال لها حسام بعد أن جلست بالقرب منا ولاحت علامات السعادة والرضى على محياها:

- كيف اصبحت أحوالكِ الان يا جدة...؟ أردتِ أن تري أحمد وها هو أحمد عندك الآن، قد أتيت به إليك كما وعدتك.

ارتسمت ابتسامة لطيفة على شفتي الجدة، أعادت التوردَ لوجنتيها الباهتتين وابتدرتني قائلة:

- كيف حالك يا (ابني) مالك لا نراك كل هذه السنين، (طوّلت) أنت وأبوك في السفر، من الظاهر أن الغربة أعجبتكم كثيرًا...!

- لا يا جدة سوسن، رددت عليها ووجهي يفيض شغفاً وحزناً. أنا أعلم أننا مقصرون كثيرًا في حقك كل هذه الفترة، ولكن أنت تعرفين الظروف الخاصة بنا في الخارج، وانشغال أبي الدائم طوال الوقت بعمله.

ردت الجدة بحزن وأسى طغى على محياها فجأة وقالت:

- نعم يا (ابني)...، إنني أعرف الظروف، فبعد موت أمك المرحومة واجهت والدك أوقات عصيبة جدًا، وإنني أُقدِّر غيابكم عني طوال هذا الوقت، وهذا (الّي صبرني) كل هذا السنين...

رددت مواسيًا إياها وقلت:

- خير يا جدتي، خير....

قاطع حسام الموقف مرة أخرى وقال متسائلًا:

- يا جدة سوسن، أرغب بسؤالك سؤالًا صغيرًا، ترى ما الذي حصل هناك على الرصيف المقابل للشارع الرئيسي، سمعت أن حادثًا كبيرًا وقع، وأن شابًّا رمى بنفسه من على شرفة شقته...؟

ردت الجدة مستنكرة على كلام حسام بنبرة يملئها الاعتراض وقالت:

- لا يا (ابني) لا تقول مثل هذا الكلام السيء... لا تظلم ذاك الشاب المسكين، إنه إنسان طيب ولا يمكنه أن يعمل ذلك لنفسه.

رد حسام مستغربًا من كلام الجدة وقال:

- ماذا تقصدين يا جدة...، ألم يقدم على رمي نفسه من على الشرفة...!

هو لم يرمِ بنفسه إطلاقًا...، قبل قليل كانت عندي جارتنا زوجة (الحاج) هاشم، وأخبرتني بكل ما حصل، وقالت إنها كانت قبل ساعتين في دكان (أبو سالم)، فقد سألته بالمصادفة عن كيس رأته على أحد الرفوف ممتلئ بالطعام، فرد عليها إنها مستلزمات أحد الجيران في العمارة، يقوم كعادته اليومية بإنزال سلته المربوطة بحبل في وقت محدد إلى صاحب الدكان الذي يقبع بالدور الأرضي حتى يزوده بما يحتاج، وذلك لبقائه طوال اليوم بالشقة التي اشتراها مؤخرًا، منشغلًا بعمل الترميمات والإصلاحات اللازمة، استعدادًا لموعد زواجه القريب.

يا للغرابة...، قالتها في نفسي، فما إن انتهت الجدة سوسن من كلامها حتى خالجني شعور مبهم تجاه القصة التي روتها قبل قليل، فكيف يقوم شاب مقبل على الزواج برمي نفسه ووسط انشغاله الشديد حسب ما فهمت في تجهيز مستقبله ويقضي على حياته، وهذا ما أصابني بالشك والريبة، إذ إنني شممت حينها رائحة لاحتمال وجود فعل أثم وجريمة قتل مدبرة بعناية، نسجت خيوطها الخفية بإحكام، إذا ما اكتشفت بعض الادلة التي تدعم هذا الافتراض، فحاولت تجاهل الموقف مرة أخرى قدر الإمكان لعدم رغبتي في خوض أي تجربة جديدة لكن حسام اللجوج لم يدع لي أي مجال فقد نظر إليّ كعادته بتمعن واستفزاز وقال:

- وأنت كيف ترى الأمر...؟

رددت على كلام حسام رافضًا إياه بشدة وهتفت بانفعال وقلت:

- أرى أن لا شأن لنا بالموضوع بتاتًا، فالبوليس قد حضر، وأحاط بالقضية، وسيتكفَّل وحده بحلها وإيجاد مرتكبها إن وجد مشتبه به، (بعدين) لماذا تفسر الحوادث دائما بأسلوب سلبي المنطلق، وكأن هنالك

أشخاص سيئون موجودون على الدوام، يكونون هم المسبب الرئيسي في إحداث المآسي لكل ما يحط بهم...؟؟؟

هتف حسام بدوره بانفعال مشيحًا بيدية أمامه ومشيرًا إلى موقع الحادث قائلًا:

- أنا لا أحمِّل الغرباء أسباب المآسي، ثم كيف تقول إن البوليس سيتكفل وحده بإيجاد المشتبه به...؟ الناس كلهم هنالك في الشارع يجزمون أن الشاب قد أجرم في حق نفسه ويكاد البوليس ان يسلم بهذه النتيجة ايضاً وهذه ستكون مشكلة إذا استقرت على هذه الشاكلة، الا ترى ان الامر يسير في إلى نتيجة بعيدةً عن الصواب...

رددت على اعتراضه وقلت بإيجاز:

- الناس تصدق الذي تريد أن تصدقه فقط، ولا شأن لنا بقرارات البوليس، ففي النهاية نحن اناس عاديون ولا دخل لنا بالأعمال التي تفوق طاقاتنا...

لم يمنع اعتراضي من تغيير رأي ابن عمتي حسام ولو بالقدر اليسير، فقد استفحل به العناد وبلغ مبلغًا كبيراً فرد عليّ بعد ان أغاضته إجابتي وقال مستفزاً:

- إذًا هل ستترك الأمر يمر مر الكرام ايها العارف الكبير...؟

- نعم أعتقد ذلك بل انا اصر عليه، فهذا الامر خير لنا جميعًا، ثم ما شأننا أصلًا بالموضوع...؟ يجب أن نبتعد نهائيًا وأن لا نحشر أنوفنا إطلاقا في ما لا يخصنا، لأنني لا أريد أن أتورّط بمشاكل جديدة مثل ما حدث في آخر مرة مع قضية موت (الحاج شكري)، فقد رأيت بنفسك كيف آلت إليها الأمور وكيف استطعنا ان ننتهي منها بشق الانفس بعد ان كادت حياتنا نحن ان تكون في خطر.

بسط حسام يديه امامة وأجاب بهدوء مسترسلاً:

- صحيح بقولك اننا تحملنا المشاق ووصلنا لوضع غير محسود إطلاقاً، ولكنك أنت وحدك من حللت اللغز في الأخير، وانت وحدك من كشفت جميع ملابسات القضية. وفوق ذلك كله امسكت المشتبه به الحقيقي

الذي لم نكن نعلم هويته بل لم نكن نعلم بوجوده اصلاً وأخرجته من بين كل مواطني مدينة عدن.

نظرت إليّ الجدة سوسن وقتها بإطراب واسى عميق بدا على قسمات وجهها وقالت بلهجة ترجِّي سائلة:

- (شوف يا بني) إنني أعلم أنك لا تريد أن تدخل المشاكل والتعقيدات الكبيرة لحياتك، ولا تريد أن تثقل كاهلك بشؤون الآخرين، ولكن إذا لم ترغب بمساعدة رجال البوليس في كشف حقيقة موت الشاب المسكين، قم على الأقل بنصرة خطيبته المنكوبة، وأثبت أن الشاب لم يقدم على قتل نفسه، حتى تستريح روح الفتاة المسكينة نهائياً، وإلا ستبقى هكذا معذبة لبقية أيام حياتها...

حزّ الأمر في نفسي بعض الشيء لما سمعته من كلام الجدة، فصحيح أن القضية متأزمةً جدا في تلك المرحلة وقد لا نحرز أي تقدم يذكر، بالإضافة إلى اننا مقبلون على تجربة جديدة لا علم ولا طاله لنا بها نهائياً، ولكنني كرهت ان اترك الامور _كما تعودت_ ناقصة وغير مكتملة، ولا ننسى ايضاً الاذى الذي سينزل على دوي الشاب الفقيد إذا ما اقفلت قضيته

على هذه النتيجة المؤسفة، فما كان لي إلا ان سلمت بالأمور ورضيت بالواقع بعد ان نفذت مني الخيارات المتاحة، فأطلت التفكير بصمتٍ شديد وانا محني رأسي للأمام لبعض الوقت تحت نظراتهم المتلهفة لسماع رأيي، وحاولت تدارك ما قد يحصل للموقف من تبعات مستقبلية لا أستطيع السيطرة عليها إذا ما خرج الوضع عن سيطرتنا، وقلت لحسام بعد أن حسمت أمري نهائيًا:

- موافق...، لكن من (بعيد لبعيد)...

فهتف حسام مستبشراً وقال:

- حسنًا لك ذلك...

الفصل الثالث

اقتنعت بكلام ابن عمتي حسام وغادرنا بيت الجدة من فورنا متوجهين صوب المكان المحدد الذي كان مسرحًا لوقوع الحادث، بعد أن أعطيناها خبرًا بأننا سوف نتأخر في الخارج لانشغالنا بعملنا، أو بوجود احتمال كبير بالمبيت عندها هذه الليلة، وفي أثناء مشينا أخذت أراجع في فكري كل ما نفذ إلى يدي حتى الآن من معطيات أولية تخصّ ملابسات القضية بكل ما حوت من ابعاد، محاولًا أن أجد حقيقة أساسية أقف على مضمونها، تكون هي بداية لطرف الخيط الاولي، حتى وإن كانت ضعيفة الصلة بالموضوع، لأستطيع من خلالها البدء بالتحقيق مباشرة، ومن غير الحاجة لإضاعة المزيد من الوقت الثمين، ولكنني انصدمت حينها بعد الوقوف على الموضوع جدِّيًا من عدة زوايا بجدار شحة الأدلة الملموسة، حتى كادت الأفكار التي أستطيع توظيفها أن تنفذ، فالتفتُّ إلى حسام سائلًا إياه وعلامات مبهمة تلتف حول رأسي وقلت:

- وأنت أيضًا كيف ترى الموضوع من وجهة نظرك...؟

- بالنسبة لماذا...!، رد حساب ببلاهة...

هتفت عليه مندهشاً وقلت:

- بالنسبة للقضية بالطبع...، ما الذي تعتقد أنني أسألك بشأنه، صحيح أنني واثق بدرجة عالية من أنها ليست حادثة انتحار _ بالنسبة لي كرأي شخصي _ على عكس ما يظنه الجميع، وبالإضافة إلى أن هنالك احتمال مرجح أن تكون الحيثيات التي تكتنف الحادثة أكثر من ذلك بكثير وتوصل إلى جريمة قتل مثلًا، مع العلم أن هذا الاحتمال الأخير غير مستبعد في قضيتنا كما هو واضح وفق المعطيات التي تحصلنا علها حتى الان، ولكن كل هذه الافتراضات المطروحة لا أستطيع الاستفادة منها حاليًّا بأي شكل من الأشكال، لأنها لا تعطي شيئا ولا معنى لها من غير الاستناد إلى الأدلة القاطعة والملموسة التي أستطيع من خلالها معرفة الطبيعة الرئيسة لنشوء الحادثة، ومن ثم معرفة الخطوات التي تمت بها، لكي استطيع ادراك أركان القضية، لذلك يصعب عليّ البدء بعملية التحقيق حالياً، لتبقي الكثير من المعطيات المهمة التي لست متأكدًا من صحتها وجودها حتى اللحظة...

صمت قليلاً ثم اكملت:

- افهمت الان ما اقصد...

رد حسام ببساطة قائلًا:

- لا تقلق...، أنا واثق من أنك ستجد حلًّا ما...

- ماذا...؟ هتفت عاليا بعد ان استفزتني اجابته وقلت:

- كيف تقول مثل هذا الكلام ونحن لم نبدأ بعملنا حتى الآن...؟

- لأنني أعرفك جيدًا، إذ تكرر الأمر أمامي أكثر من مرة سابقًا، فعندما تقترب من التوصل إلى نتيجة ما، تبدأ تلقائيًا بالشك في كل ما هو مثير للشبهة، حتى الأفكار التي تعتمد عليها، وهذا مثل ما حصل لنا بالضبط في قضية جزيرة الموج الهادئ...

غمغم لحظتها ببضع كلمات غير مفهومة ثم قالت ممتعضاً:

- نعم نعم، العقل المتشكك هو العقل المتيقظ، ولكن أولًا وقبل كل شيء أنا لا علم لدي بالغيب إطلاقاً حسبما تعتقد أنت، ثم الذي حصل في قضية الجزيرة هو أنني توقعت أن جريمة القتل ستتكرر أكثر من مرة، في

ظل الظروف التي كانت ملابساتها سائدة حينئذٍ، وأن القاتل سيضرب ضربته في الخفاء من قبل ان نكتشف أهدافة ودوافعه، ولكنني لم أضع في الحسبان وقتها أنها ستكون بهذا القدر من الأهمية تبعًا لطبيعة هوية مرتكبها، ثم أضف إلى كلامي بأننا أشخاصٌ غرباء، فقد نكون غير مرحَّب بهم في هذا المكان، وهذا ما يقلقني حاليًا؛ لأن هذا الأمر سيشكل عائقًا كبيرًا بالنسبة لنا في عملية البحث وجمع المعطيات الاولية، فهل تعرف من أين نبدأ بتحسس بعض الأخبار...؟

رد حسام بنبرة واثقة وقال:

- لا تقلق...، تعال معي، فقط أعتقد أنني رأيت أحد (معاريفي) من سكان المنطقة وهو سيخبرنا بكل ما نحتاج...

جيد جدًا...، ولكن هل تعتقد أنه سيفيدنا كثيراً ويكون ذا عونًا لنا فيما نصبو إليه...!

- بالطبع...، فشخص مثله لا يغيب عنه الكثير من أخبار المنطقة.

مرت بضع دقائق وها بنا نقف سوياً أمام بوابة لمحلٍ كبير، تنفذ الأنوار الساطعة من بوابته وجدرانه الزجاجة إلى الخارج، وله لوحة ضوئية كبيرة جديدة، عليها صور وألوان مبهرجة، كتب عليها (سيتي نت) ومن خلف الزجاج بدى هيئة الديكور الجديد بتجهيزاته وأدواته تنم عن قدر عالي من الاهتمام والحداثة، فكان الامر عاديا جداً بالنسبة لإحدى المحلات التي الراقية تمارس نفس النشاط، ولكن ما شد انتباهي أكثر وقتها في غرابة المنظر هو مصابيح اللوحة الجديدة التي كانت مطفأة كليًّا على عكس داخل المحل الذي اشعت انوار مصابيحه المبهرة حتى الخارج.

شرعنا بعدها بالدخول بعد الوقفة القصيرة امام بوابته لنبدأ في تقصي الأمر، ونلتقي بدليل حسام المزعوم، فتوجه حسام مباشرة صوب العامل الذي جلس على كرسي المحاسب وابتدره قائلًا:

- السلام عليكم...

رد عليه العامل رافعًا رأسه بتثاقل وكسل:

- وعليكم السلام...

- أين قُصيّ، إني لا أراه...؟

- قصي... قصي مشغول قليلًا، سيأتي بعد قليل.

انتظر كلانا بهدوء وأخذت أجول ببصري في أرجاء المحل، جراء الهدوء والفراغ الكبير الذي حل به على عكس طبيعته، حتى أقبل قصي الذي كان شابًّا في نهاية العشرينيات من عمره متوسط الطول عريض المنكبين، فلمحت أول ما رأيته مسحةً من حزن وضياعٍ اجتاح بشدة وجهه الصغير المحمر سلفاً، فسأله حسام فور رؤيته مستغربًا حاله وقال:

- خير يا قصى مالي أراك مهمومًا...؟

صمت قصي لهنيه ثم ما لبث رد بصعوبةٍ والم بالغ ملتفتاً لوجه لحسام وقد افرقت عينية بالدموع وتضرج وجهة بالحمرة اكثر عن دي قبل في محاولته لنطق الكلمات التي تحشرجت في فمه وقال:

- عمار... عمار...

- عمار... ما به...؟ هتف حسام باستغراب...

- لقد... مات...

صدم الخبر الفاجع حسام ونزل على جسده كالصاعقة فشحب وجهه شحوبًا شديدًا وامتعقت ملامح وجهة بقسوة، مما اضطرني إلى جذب كرسي مجاور ليجلس عليه حين رأيت ابن عمتي بدأ يفقد توازنه ويترنح من هول ما سمع، فأردفت لقصي محاولًا الاستفهام أكثر عن الموضوع وقلت له:

- ما الذي حدث بالضبط، هل يمكنك أن تخبرنا...؟

رد قصي بذهول وهو يهز رأسه وقال:

- أنا... أنا لا أعرف شيئًا...

أرجو منك يا قصي أن تخبرني بالذي تعرفة بالضبط، لأتمكن من مساعدتكم...

نظر قصي إلى حسام في حيرة متعجبًا من كلامي له وقال مستغربًا:

- ماذا...!

حرك حسام رأسه ببطء وأجابه قائلًا:

- هذا ابن خالي أحمد أرجو أن تخبره بما حدث بالتفصيل ليستطيع مساعدتنا.

تلعثم قصي بنطقه ثم قال منفعلًا:

- كيف... يساعدنا...!

- ثق به... إنه ضليع بمثل هذه الأمور، وسيجد حلًا ما إن شاء الله.

تنهد قصي بعمق بعد ان جلس على كرسي من شدة وهنة هو الاخر ملتقطًا أنفاسه الضعيفة، وبقي صامتًا برهة سارحًا بعقله في غياهب المجهول، مشيحًا بنظره إلى بعيد بعينين حمراوين ذابلتين أعياهما الحزن والبكاء المرير، ثم ما لبت أن فك وثاق كلماته وقال:

- كيف لهذا الأمر أن يحدث، أنا لا أصدق إطلاقًا أنه مات، أنا لا أدري ما أقول لك، أنا لا أدري إن كان ما سأقوله سيفديك في شيء، فأنا لم أكن متواجدًا في الخارج ساعة وقوع الحادث...

رددت عليه مطمئنًا إياه قائلًا:

- هوّن عليك قليلاً، أي شيء ستخبرنا إياه سيكون ذا فائدة كبيرة في الوقت الحالي، فلا تقلل من شأن من أي معلومة قد تخطر لك حالياً.

صمت قصي محاولًا تدارك انفعاله لبرهة ثم قال:

- حسنًا كما تريد، في الواقع قدمت إلى هنا كعادتي اليومية في الساعة السابعة والنصف مساءً استعدادًا لنوبتي الليلية التي تبدأ في الساعة الثامنة مساءً، فشرعت مباشرة بتفقد أعمال موظف الحسابات الذي كان مسؤولًا قبلي، بعد أن سمحت له بالذهاب للعشاء، وبقيت في مكان الموظف منهمكًا في عملي، فإذا بي بعد دقائق معدودة أرى المارين بالشارع يهرعون مسرعين باندفاع صوب دكان (أبو سالم) المجاور لمحلنا، ثم ما لبث أن تبعهم رواد المحل فضولًا إثر ملاحظتهم التوتر الصاخب الذي يحدث في الشارع، فخرج الجميع واحدًا تلو الآخر خارجاً ليتبينوا سبب كل هذه الجلبة، أما أنا فآثرت البقاء بمكاني إذ كنت مسؤولًا عن المحل، بالإضافة إلى أن المحل قد أخلي عن آخره، وإذا برشاد الحلاق يقتحم المحل دافعًا بابه بقوة _ حتى كاد أن يخلعه _ ويصرخ عاليًا بفزع ويقول:

- صاحبك...، صاحبك مات...، وقع من شرفته...

وأكمل قصي متمتمًا كلامة بحسرة بعد ان بدأت قسمات وجهة بالذبول وهو يقول:

- ثم ثم.....

صمت قصي وقتها وقد ارتجف فكة بشدة وأحجم عن الكلام حتى كاد البكاء أن يخنقه مرة أخرى، فاستلهيته برفق وقلت له:

- ثم ماذا...؟

التفت إليّ مكملاً كلامه بعينين غارقتين بالدموع ووجه يكتظ بالألم وهو يبدو غير مصدق لما يقوله لي وقال:

- ثم خرجت لأرى ما حدث وإذا بعمار ملقىً على الأرض، ودمٌ غزيرٌ ينزف من رأسه...، أما البقية فيعرفه الجميع ممن كان موجوداً في الجوار ساعة الحادث. ثم شهق شهقة طويلة ودفن وجهه بين يديه لينتحب ويتهدج بشدة وكأنما ما مر به حتى الان لم يكن كافياً بعد...

بمجرد أن انتهي قصي من سرد قصته حتى عصف بصدري حزن بالغ لعدم استطاعتي وقتها من منع وقوع هذا الحادث الأليم _ وانى لي ذلك _ فمما فهمت من كلام قصي وما بدا على ملامح وجهه من آثار

للفاجعة أن عمارًا ليس من الأشخاص الذين من المكن ان تتوقع انهم قد يزهقون أرواحهم وتحت أي ظرف كان، وبالإضافة إلى كونه شخصًا طموحًا ومكدًّا في عمله. فكما بلغني من قبل أنه بدأ مشواره في العمل منذ أمد بعيد كعامل في محل اتصالات بسيط بشارع خلفي مقفر، وذلك لظروف خاصة ألـمَّت بحياته، وضيق ذات اليد، وما حثه أكثر على الاستمرار في العمل خطيبته التي كانت زميلة له في دراسته الجامعية، وهذا ما جعله بالنسبة للكثيرين ممن يعرفه رمزًا للصبر والكفاح، حيث تقرر حينئذٍ من طرفي ودون أي تراجع أن أكون جزءًا من هذا التحقيق وأواصل العمل حتى انتهائه.

فواسيت قصي مطمئنًا إياه وقلت:

- لا تجزع ولا تقنط قط، ولا تفقد إيمانك، وإني لأعدك حقًّا أن أبذل كل جهودي وأحاول قدر المستطاع في سبيل أن أكشف لك وللجميع الحقيقة الكاملة لموت صديقك عمار.

هدَّأ قصي قليلًا واطمأنَّت سرائره فخفف عني ذلك الحمل الثقيل، وهممنا بالخروج لمتابعة أي خيط آخر قد يفيدنا في القضية، فإذا بالباب حينها يفتح من الخارج فجأة ومن غير سابق إنذار على غرة منا ويطل منه شخص ذا وجهٍ مألوف يخاطبني شخصيًّا ويقول:

أنت هنا إذًا، هذا مبشر بالخير، لأنني لا أعرف إذا كانت الصدف هي من وضعتك في طريقي أو أنه شيء آخر، ولكن على العموم هيا معي لترافقني ولتلقي نظره عن قرب، لأنني واثق من أنك ستكون ذا عونًا كبيرًا لنا في تجاوز هذا العائق المحير الذي صُدمنا به.

الفصل الرابع

لم أنتظر كثيرًا لأبدأ عملي بالتحقيق في القضية، إذ وفقني المولى _سبحانه وتعالى _ إلى أن ينظم لصفي حليف قيم أعطاني الصلاحية الكاملة للعمل بطريقتي الخاصة، ووفر لي أكبر قدر ممكن من المعلومات والملاحظات والادلة التي سبق وعُثر عليها من قبل القائمين على التحقيق واختصاصيي الطب الجنائي، حيث إن المسؤول عن التحقيق في هذه القضية هو الضابط (عبد الكريم) أحد رجال البوليس الذين سبق والتقينا بهم في قضية موت (الحاج شكري) والذي كان رجل في اواخر العقد الثاني من عمره قد رسمت تجارب الحياة تفاصيلها على قسمات وجهه العريض واسفل عينيه الغائرتين في محجريهما، فتعاون الأخير معنا إلى أقصى حدٍّ ممكن ووفر لنا كل ما نحتاج بحكم معرفته المسبقة بمقدرتي على التحليل واتباعي لأسلوب خاص في اكتشاف الادلة.

قمت معه بمراجعة سريعة لمستوى التقدم الذي وصل إليه التحقيق حتى الآن، بالإضافة إلى الادلة التي لها صله بالقضية، فقد وجد الضحية وهو شاب في السابعة والعشرين من عمره ملقى على رصيف الشارع أمام بوابة المبنى الذي يقيم فيه مفارقًا الحياة بعد وقت وجيز من مشاهدته _ حسب إفادة الشهود _ وهو يقع من شرفة شقته العالية، والتي تقع في الدور الخامس لإحدى العمارات التي تطل مباشرة في المعلا على الشارع الرئيسي، فأدى سقوطه من ارتفاع شاهق إلى أصابته بأضرار بالغة في أكثر من مكان بجسده _ حسب التقرير الاولي المقدم من مختص الطب الجنائي _ مما اسفر عن ذلك اصابته بالكثير من الكسور المتباينة الدرجة في مواضع مختلفة، وتلفًا جسيمًا في الأنسجة الداخلية، خاصة منطقة الرأس الذي نال جل الأذى جراء الصدمة العنيفة التي مُني بها، أدى بدوره إلى حدوث نزيف حادّ في منطقة الرأس، وقصور شديد في عمل أعضائه الحيوية، كان المتمم الأخير لفقدانه حياته في غضون دقائق معدودة. ولكن ما جعل القضية ذا مستوىً عالٍ من القيمة هذه المرة_حسب ما فهمته من الضابط عبدالكريم_ هي الظروف الغامضة التي اكتنفت مجريات أحداثها والتي لم يكشف كامل

الغطاء عنها حتى الان، حيث قادت أغلب الاستنتاجات الأولية التي تم التوصل إليها من قبل رجال البوليس إلى أن الشاب قد أقدم على رمي نفسه من على شرفة شقته التي تقع في الطابق الأخير لأحدى العمارات، وذلك لأسباب مجهولة لم يستطع أحد التوصل إليها حتى الآن، وهذا ما أكده فريق الطب الشرعي ساعة وصوله إلى الموقع، كنتيجة أولية للتحقيق في أسباب الوفاة، بعد الكشف المباشر على الجثة وقيامه بالإجراءات الطبية الاولية اللازمة، بالإضافة إلى عدم عثورهم على أي أثر من آثار الإصابات أو الدلائل التي تشير إلى نشوب صراع من نوع ما، نافية كنتيجة حتمية احتمال تعرُّض الضحية لسقوط متعمّد من قبل شخص آخر بعد صراع عنيف. بيد أن ما كان جديرًا بالذكر هو إجماع أقوال الشهود الذين كانت لهم معرفة شخصية أو صلة قرابة بالضحية على النفي القاطع لهذه الاحتمال، كونهم عارضوا جميعًا منذ بداية التحقيق إمكانية حدوث أمرٍ كذلك، وجزم مجملهم أيضًا على أن ما حدث لم يكن إطلاقًا شيئًا متوقعًا حصوله لشخص ذي سمعة طيبة ووضعٍ مادي جيد، بعد وصوله إلى هذا المستوى من الثراء والأملاك، باذلًا العناء والجهد الكبير في سبيل الحصول عليها.

والأهم من ذلك اقتراب موعد زفافه المنتظر، الذي دأب على الاستعداد له مند فترة طويلة، مما أكد لي قطعًا وبعد اطلاعي على بعض من أقوال الشهود انتفاءً نهائيًا لفرضية الانتحار، فرسخ لي هذا الافتراض في آخر المطاف على عرضية وقوع الحادثة وفق ما رأيته حتى الان، وأن ما حدث لم يكن مقصودًا من جانب الضحية، وذلك لارتفاع احتمالية وقوع حوادث مشابهة لها، _ تتكرر بين الفينة والاخرى _ خاصة لأصحاب الشرفات القديمة والمتهالكة منهم، ولكن ولسبب غير مقنع أحسست بذلك الشعور الغريب الذي يخطر لي والذي لطالما وجد طريقه الخاص ليتسلل إلى داخل صدري في مثل هكذا أحداث مبهمة التركيب، إذ كانت ملابسات القضية منذ البداية ولغير عادتها بسيطة جدًا ومحكمة بطريقة مثيرة للريبة، بعيدة عن أي تكلف او شبهات تؤدي إلى زعزعة قاعدة التي تجلت عليها، فكان المشهد التخيلي الذي ترأى بالنسبة لي أشبه بدخان بنفسجي ثقيل خفي طغى على الأرضية التي يقف عليها الجميع من غير علمهم، وغطاهم حتى منتصف السيقان، ليستقر لفترة من الزمن دون ادنى حركة، وليتمكن بعد أن تهدأ الأمور من الانسلال بالحقيقة بعيدًا من بين أقدامهم

بكل سهولة ويسر، حيث اعتبرته ـ وكرأي شخصي بي ـ واقعًا فُرض على الجميع ومن غير إدراكهم، صرفوا النظر عن اسباب نشوئه رغماً عنهم وقبلوه بالأخير أمرًا مُسلَّمًا به. حينها لم يتبقَّ لي سوى إعادة النظر في ما تم الوصول إليه حتى الآن، واعادة البحث في تفاصيل القضية التي اعمل عليها بطريقتي الخاصة، عليّ بذلك أريح خاطري وأقفل القضية نهائيًّا...

توجهت فور انتهائي من مراجعة الأدلة الأولية مع الضابط عبد الكريم إلى موقع دكان (ابو سالم) الذي كانت الأرضية المقابلة لبابه ساحةً للحادث بعد ان وقع الضحية عليها، وبعد أن قمت بسؤاله بعض الأسئلة المتفرقة ومنها عن وقت وقوع الحادث تبين لي ان الحاث قد وقع ما بين الساعة السابعة والنصف والساعة الثامنة مساءً، _ أي بوجود ثلاثون دقيقة غير متأكد من صحتها _ وهو الوقت الذي واضب فيه الضحية يوميًّا إنزال سلَّته الخاصة والمربوطة بحبل من على شرفة شقته إلى الدور الأرضي الذي يقع فيها دكان (ابو سالم)، ليرفعها الضحية بنفسه بعد أن يقوم صاحب الدكان بملئها بما يحتاج من المشتريات والمستلزمات اليومية، وعندما سألته عن سبب عدم نزوله بنفسه لأخذ ما يحتاج، أجابني بأن هذا حال هو دائب

الكثير من سكان الشارع الرئيسي من أصحاب الطوابق العليا، بالإضافة لبقاء الضحية منهمكًا وحده بأعمال الترميم والإصلاح للشقة التي اشتراها مؤخرًا، مع عدم رغبته بالاعتماد على احد. وعند انتقالي إلى سؤال من تبقى من شهود ممن كان في الشارع أو القرب من الموقع وقت وقوع الحادث، لم أظفر بالكثير، فيا للأسف فقد تطابقت إفادات الجميع ولم أجد ما لديهم من أقوال يختلف كثيرًا عن روايات بعضهم البعض، فأخذ مني البحث والتقصّي والتنقل بين المواقع المختلفة على هذه الشاكلة وقتًا طويلًا إلى ان شارفت عقارب الساعة ان تقف على منتصف الليل، فمشيت عائداً بعد ان فرغت من جولتي قادما من الجهة المقابلة لعمارة الضحية بسكون وسط الشارع تحت السماء الغائمة والرياح الخفيفة اتحرس مكامن تجمع مياه الامطار والتف حولها، فخيل لي ساعتها وفي ظل هذا الجو الذي غرق بالسكينة والسلام انه وقت مناسبا لأرجع لبيتي حتى اغط في نوم عميق ثأراً من مشاغل اليوم، ولكن بقيت لي مسائل معلقة ذا اهمية وجب عليّ قضائها، فتوجهت إلى مكان تواجد الضابط عبد الكريم لأخطره بآخر نتائج أبحاثي التي توصَّلت إليها واقارنها مرة أخرى بما عنده، ثم يممت شطر محل

الانترنت فور انتهائي لأعلم قصي وأحاول إقناعه بالتي هي أحسن (بالقضاء والقدر) عله بذلك يرضى بما حصل وتهدأ نفسه وتستقر سرائره.

حينما وصلت إلى بوابة المحل تصادف دخولي مع خروج رجل عجوز كان موجودًا مع قصي والعامل _ في المحل الفارغ _ سلم عليهم ثم غادر مسرعا في شأنه، فوجدت قصي حينها تماماً مثلما تركته اخر مرة مهمومًا محزونًا، وقلت محاولًا شرح الموقف:

والله يا أخ قصي لم أجد ما يغير في حقيقة ما حصل، فكما يبدو أن الأمر كان حادثًا عرضيًّا لا غير وان عمار قد مني به بعد ان سبق عليه الكتاب.

اكتفى قصي بتحريك رأسه لا مباليا ببطء ورد عليّ:

- لا عليك، لقد قمت بالواجب، هذا اكثر مما اتمنى، على الأقل أصبح الآن في مكان أفضل...

تعجبت لحال قصي الذي تبدل للأحسن بعد ان استطاع ان يتمالك نفسه بهذه السرعة، برغم كل ما مر به، وقلت مطريًا على كلامه:

- جيد...، لم أتوقع هذه الإجابة منك، ولكن وجود أشخاصٍ بحجم إيمانك يجعلني أستبشر خيرًا في الدنيا.

أسعد كلامي قصيًّا بعض الشيء كما ارتا لي، فقد ارتسمت حول عينيه علامات لابتسامة هادئة، ورد على كلامي قائلًا:

- حسنًا، الآن، أستطيع أن أواصل عملي بهدوء، على الأقل حتى يأتي ساهر.

وصمت بعدها منشغلا في شأن اخر فقد بدى ان فكرة اخرى قد طرأت على عقلة وانسته همومة للوقت الحالي، فاستغليت هذه الفرصة ووجهت له سؤالاً من باب الفضول وقلت له مستفهماً:

- قل لي لو سمحت مَن ذلك الرجل العجوز الذي خرج قبل قليل من عندكم، هل هو يا ترى أحد اقرباء صاحبنا عمار...؟

التفت إلى قصي منتبها وكأنني قد قطعت عليه حبل أفكاره ورد متسائلاً:

- من...، تقصد الأستاذ فضل، لا...، وهز رأسه نافياً، إنه جار عمَّار يقيم في الشقة المجاورة له مباشرة.

ثم ترك ما كان بيده وحول انتباهه لي:

- لقد أتى ليعزيني ويخبرني أن التيار الكهربائي مقطوع عن شقته منذ خمس ساعات تقريبًا...

- غريب أمرة هذا الرجل، قلتها في نفسي متعجباً، لماذا إذًا انتظر كل هذا الوقت ولم يقم بإصلاح العطل...؟

- أنا لا أعلم بالضبط ما باله، لكنه ربما اعتقد أنه انقطاع عام، لذلك لم يكترث كثيرًا لوجود التيار البديل...

- إذًا ما مشكلته بالضبط...؟! قلتها في عدم استيعاب بعد ان احسست وقتها ان الجار العجوز من الاشخاص الذين يحبون الاعتماد على الاخرين، حتى جاء رد قصي المزلزل.

كلا الشقتين مرتبطتان بمحوّل كهربائي واحد معلق على جدار بينهما، فعندما ينطفأ المحول ينقطع التيار عن شقة الأستاذ فضل كما يحصل المثل في شقة عمار...

تكلم العامل وفسر الامر بطريقته:

- يبدو أن المحول أصابه عطل ما إثر انهمار كل هذا المطر الذي يكون قد تشرب من سقف العمارة.

أضاف قصي لكلام العامل وقال:

- انطفأ المحول برغم أنه جديد...!

بمجرد أن نطق قصي بهذه الكلمات التي صغت لها مباشرة في ذهني افتراضاً اولياً هتفت بذهول في وجهه جراء التماع فكرة خطيرة طرأت على عقلي وقلت بحماسة:

- متى كان بالضبط توقيت انقطع التيار الكهربائي...؟

في تمام الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة حسبما قال الأستاذ فضل، إذ أنه اكد لي ذلك لموافقته وقت الانقطاع لاستراحة مباراة كرة قدم كان متابعا لها، لماذا تسأل هذا السؤال...!؟

وقت سماعي لتوقيت الانقطاع الكهربائي لم أنتظر كثيرًا، إذ انتفضت مسرعًا تاركاً كلاً من قصي والعامل ودوامة كبيرة من التساؤلات تلف حول رؤوسهم أبحث عن الضابط عبد الكريم لأشرح له ما خطر على بالي بعد

سماعي لهذه الحادثة المريبة، ثم أسرعنا مباشرة _ بمجرد ان استوعب الموقف _ صاعدين الدرج متخبطين في الظلمة نحو شقة الضحية، حتى إذا وصلنا إلى بابها تفاجأت بوجوده مغلقًا امامنا وظلام كثيف يلف تلك البقعة من الدرج، فوجهت سؤالًا مباشرًا للضابط عبد الكريم وقلت له:

- لماذا الباب مغلق...؟

رد عليّ الضابط موضحاً وقال:

- لم نقم بفتح الباب حتى الان لأننا اكتفينا بالتحقيق في ساحة الحادث مع الشهود بعد ان فرغنا من الضحية، فتركنا الشقة على حالها هكذا إلى حين وصول احد أقارب الضحية حتى نفتحها بمعيتهم وبطريقتنا الخاصة، فلا توجد أي نسخة احتياطية متوافرة حاليًا لمفتاح الشقة، ولم توجد قط، لذلك رأينا أنه لا حاجة لنا من الاستعجال وكسر الباب عنوة كنوع من الاحترام للميت.

تقصد بكلامك هذا أنكم عندما وصلتم وجدتم الباب هكذا مؤصدًا، ولم يقم أي أحد بفتحه إطلاقًا للدخول او الخروج، قبل مجيئكم أو بعد...!

- نعم، كما قلت تمامًا. فنسخة المفتاح الوحيدة موجودة داخل هذه الشقة المؤصدة، لأننا لم نجدها وقت ما احصينا الأدلة التي كانت مع الضحية في موقع الحادث...

لم أنتظر كثيرًا لأستوعب الموقف الصادم الذي ما لبث ان تجلى لي اخيراً، فبعد سماعي لكلام كلاً من قصي والضابط عبد الكريم تأكدت أخيرًا من تلك الأحاسيس المريبة التي خالجتني سابقًا وبتُّ على يقين من أن أيادٍ خفيةً تعبث بالقضية؛ وان هذه الإشكالية المموهة التي تجلت صدفه ما هي إلا طرف الخيط الاولي الذي شككت بوجوده سابقاً، فالتفتُّ حينها للضابط وقلت له:

- هل تعلم ما الذي نتعامل معه في هذا المكان إن تأكدت شكوكي...؟

- ردَّ بإيجاز: لا... ماذا تقصد بقولك هذا...؟!

- حسنًا سأقول لك ما الذي أقصد، لأنه إذا كانت شكوكي في محلها تجاه القضية التي نحقق فيها، فاعلم من أننا نتعامل مع شخص ذي ذكاء غير عادي، بل إننا نتعامل مع عقلية إجرامية معقدة، أي اننا سنواجه قريباً مشتبها به في جريمة قتل، والذي تراه الآن أمامك هو أمر خطير جدًّا...

الفصل الخامس

بدأت مجريات القضية تأخذ منحنىً آخر متطوراً لسير أحداثها، بعد الإشكال الأخير الذي تجلى أمامنا فجأة وكأنه احد اعلام الغيب، إذ أخذت الأمور تظهر بصورة مغايرة كلياً عما بدت عليه منذ بداية فتح ملف القضية، فالحقائق حتى وإن وجدت باهتة ضئيلة تدل في مجملها وبعد فهمها من وجهة نظر أخرى خارجة عن السياق على أمور جلية في قدرها، إذا ما أحسنَّا توظيفها بما يتناسب مع احتياجاتنا الحالية، واحسنا تفسير مدخلاتها بالموضوع، إذ كان هذا بالذات هو طرف الخيط الأولي الذي امسكه وأستدلُّ به للاستمرار في تحقيقاتي، فقد وجد ـ ومن غير المألوف سابقًا ـ تسلسل غامض جديد لتتابع سير وقوع الأحداث وفق المعطيات التي انكشفت لي مؤخراً، ينبأ بسيناريو لم اكن اعلم بوجوده من قبل، ولا علم لي بعد لما قد يفضي إليه لاحقاً، فالانقطاع المفاجئ للتيار الكهربائي الذي حدث في وقت واحد في كلا الشقتين في الفترة التي كانت الضحية مستسلمة فيه بلفظ

انفاسها الاخيرة دليل على وجود خطب ما أصاب تمديدات الطاقة الكهربائية، وهذا أمر نادر الوقوع إلا في حالة فعل مقصود.

والجدير بالذكر أن التمديدات كانت مشتركة عند نقطة ما لكلى شقتي الضحية والجيران، فمن غير المعقول أن يقوم الضحية مثلًا في هذه الظروف الصعبة والمصيرية بتخريب التمديدات وقطعها بل وإقدامه على ذلك قبل دقائق معدودة من إقبالة على الانتحار، وتحت أي سبب كان من شأنه أن يضره والآخرين ويصبح هذا كله غير ذي فائدة بعد مماته، بالإضافة إلى وجود فارق بسيط في التوقيت ـ كما اكتشفت مؤخرًا ـ ما بين الانقطاع المفاجئ والكلي للتيار الكهربائي ووقوع الضحية من على شرفته لا يزيد عن خمس دقائق، وهذا كله يضع جميع الجزئيات المتباينة في مجملها على خط واحد متصل من شأنه أن يثير قدرًا ليس باليسير من التساؤلات والريبة حول الأسباب التي أدت إلى حدوثها على هذه الشاكلة. ولا ننسى أيضًا قبل كل شيء أننا نحقق منذ البداية في قضية مشوبة التفاصيل بامتياز، قد تتضح لاحقًا أنها جريمة قتل متعمد، إذا ما وجدت وقتها أدلة أخرى كافية تصبّ في هذه المصلحة، أريد من خلالها أن تظهر للملا على أنها ليست بأكثر من

قضية انتحار عادية، ففي تلك الفترة من الزمن أحجمت عن طرح أي تساؤلات جديدة قد تكون مستبقة لأوانها حتى أضع يدي على الموقع الاخر للحادث بعد ان ارتبط بطريقة او بأخرى بقضيتنا. فالآن لدينا مسرح جريمة مغلق بإحكام يحتاج إلى اقتحام ساحته المظلمة؛ ليكشف خفاياه المجهولة عن الجميع، وضحية لديها حكاية صامتة تأبى شفتيها المطبقة للأبد الإفصاح عنها...

كانت الساعة حينئذٍ قد تعدت الثانية عشر مساءً، السماء شبه غائمة، والرياح الخفيفة تداعب بهباتها أعالي أشجار النخيل التي امتدت على طول الشارع الرئيسي حاملة معها رائحة ندية وزخَّات ضئيلة من قطرات المطر التي انعكس عليها اللون البرتقالي لأعمدة الإنارة بعد تجمعها على الأسطح العاكسة لزجاج السيارات والمحلات ومن على بعد مسافة بسيطة تواردت في بعض الاحيان اصوات متقطعة لبواخر مرت برصيف ميناء الشحن، موحي ذلك كله على ان الحياة تستمر عجلتها بالدوران مهما وقع فيها من خطوب.

كنا قد توقفنا عن التحقيق لبعض الوقت إلى حين وصول صانع الأقفال الذي أرسل الضابط عبد الكريم في طلبه، فكانت هذه الدقائق القليلة ثقيلة في الانقضاء تحبس الأنفاس بعد التطور الأخير الذي حصل، وما أن وصل الصانع حتى شرع بعمله تحت الأضواء الباهتة لمصابيح اليد المتجمعة التي اخترقت الظلمة الدامسة للدرج حتى أنهى الأخير مهمته مكللًا بالنجاح وانصرف.

فتح باب الشقة أخيرًا، وكانت النتيجة مثل ما توقعته من قبل، ظلام مطبق طغى في المكان، لا مصابيح مشغلة ولا أضواء احتياطية ولا حتى أثر لمصدر للطاقة، ورائحة احتراق كاظم للأنفاس نفذت إلى خارج الشقة بمجرد أن فتح الباب، إذ بدا واضحًا أن مشكلة فنية ما أصابت العلبة الرئيسة لكهرباء الشقة، وفصلت التيار عن جميع أجزائها، حينها بادرت الضابط عبد الكريم وقلت:

يبدو أن أمرًا جليًّا حدث هنا ونحن لا علم لنا به حتى الان، أتمنى أن لا نواجه صعوبة في أثناء مواصلتنا للعمل...!

رد الضابط بإيجاز: – لا تقلق...، سأستدعي اختصاصي التصليح.

- لا عليك...، سأرى ما يمكنني فعله بمفردي.

ناديت على قصي الذي كان أحد الموجودين أسفل درج العمارة وقلت له:

- أرجو أن تدلني على مكان القاطع الرئيسي حتى أتفقد حالته...

رد قصي مشيرًا بيده وسط العتمة بعد ان صعد إلى قبالة بوابة الشقة قائلاً:

- إنه هناك في نهاية الممر الذي على يمينك بجانب باب المطبخ مباشرة.

تقدمت بحرص لأتفحّص القاطع مستعينًا بضوء الهاتف المحمول ومحاولاً تجنب الدوس على أي اثر قد يكون دليلاً لنا لاحقاً، وما هي إلا فترة بسيطة مرت حتى عدت للضابط وقلت له في تعجب:

- لدينا مشكلة كبيرة...!

- ماذا تقصد بذلك...؟

لقد تضررت علبة مفاتيح الكهرباء جزئياً، ويبدو هذا في ظني هو السبب الاساسي في انقطاع التيار الكهربائي عن كامل الشقة.

- كيف لهذا الأمر أن يحدث إذاً...؟

- صعب عليّ أن أجزم لك الأسباب حاليًا، ولكن يبدو أنها تعرضت لجهد عالٍ او اغلاق خاطئ أعطب داراتها الداخلية.

- عن أي جهد تتحدث والشقة لا تحتوي على الكثير من الأجهزة الكهربائية ولا حتى مكيف هواء واحد...

تدخل أحد المعاونين وعلل بسبب معروف مسبقاً وقال:

- يبدو أن السبب يعود للمطر الذي هطل اليوم...!

هتف عبد الكريم مستغربًا:

- المطر الذي هطل، ما دخله بالأمر...!!!

حينها سمعنا صخبًا وضجيجًا قادمًا من الدرج أسفل درج العمارة، فانطلقنا لنتبين سببه، وإذا بشاب غريب طويل نحيل الجسد بطريقة عجيبة، ذي وجه مقيت مغبرّ وملامح مشدودة يحاول صعود الدرجات بعد افتعال مشادة كلامية مع الحارس الذي وقف على باب العمارة، فما أن رآنا نازلين حتى تكلم باستهجان وقال بطريقة سوقية:

(إللاههه هيا اش معانا كلكم فوق)...

فاجأني اسلوب الشخص الغريب اما الضابط عبد الكريم فقد رد علية من فوق كتفة وبلهجة قوية وحازمة وبملامح امتلئت بالصرامة والجدية من دون ان يحرك قصمات وجهة بعد أن ثبت نظرة على الشاب قائلًا:

- من أنت وما الذي جاء بك إلى هذا المكان...؟

رد الشاب بوقاحة اكثر محركًا إحدى يديه بطريقة مستفزة وواضعًا الأخرى على صدره وقال:

- أنا صاحب محل الانترنت، وأنتم من تكونون...؟

معك الضابط عبد الكريم من البوليس الجنائي...

جفل الشاب لحظتها وارتعدت فرائضه واحجم عن النطق لبعض الوقت بعد أن غارت مقلتا عينيه الجاحظتين في محجريهما متلفتاً في كل اتجاة ثم قال متلعثمًا:

- أوو...، أرجو المعذرة يا (فندم) حقك عليّ، قلت أصعد إلى عندكم (أشوف اش الي حصل فوق)، يمكن تحتاجون مساعدة أو خدمة مني (كدا ولا كدا، أنا خدّامك يا فندم)...

صمت الجميع على إثر المشهد المشبع بالتوتر، وبقي الوضع على هذا الحال المتحفز لعدة ثوانٍ، حتى إنني أحسست وقتها بغضب ومقت عارم طغى على الضابط عبد الكريم تجاه الشاب الغريب، حتى أطلّ قصي من جانب باب الشقة أعلى الدرج وقال مخاطبًا الشاب:

- هذا أنت يا ساهر، (فينك) كل هذا الوقت، اتصلت على هاتفك المحمول أكثر من مرة وهو مغلق...؟

- رد ساهر: لا لا... بالواقع فرغت البطارية وانطفأ الهاتف وكان معي (كم شغلة بالدباب حقي، بعدين ايش في كل هذا، وايش اللي حصل)...!!!

- عمار...، عمار مات يا ساهر، والبوليس جاء ليحقق في أمر موته...

فقال الضابط عبد الكريم محدقًا في وجه ساهر بجدية:

- أنت إذًا الشريك في المحل...؟

رد ساهر بوهن من طرف خفي وقال:

- (ايوه يا فندم) أنا الشريك...، ثم حك ظهر يده قليلاً...

قاطع قصي كلام ساهر مخاطبًا الضابط عبد الكريم وقال:

- ساهر مهندس كهربائي (يا فندم)، يستطيع أن يصلح لنا القاطع المتضرر:

وجه عبد الكريم عندها سؤالًا مباشرًا لساهر وقال:

- هل تستطيع إصلاح القاطع...؟

- (أيوه) أقدر أن أصلحه...

- هيا أمامي...

شرع ساهر في عمله في محاولة إصلاح ما تلف بعد ملازمته من أحد الحراس، وبقيت أنا مع الضابط عبد الكريم خارج الشقة بمجرد أن انصرف قصي هو الآخر لعمله، منتظرين استعادة التيار الكهربائي حينها قال الضابط عبد الكريم مخاطبًا إياي:

لقد أرسلنا أحد أفراد البوليس ليبلغ عائلة المتوفى، ويخبرهم أن التحقيق ما زال مستمرًا حتى الآن، ويحاول أن يعرف القدر الممكن من المعلومات عنه.

- أرجو أن تتحمل عائلته الخبر...

- أرجو ذلك، لكنه لا يمتلك عائلة كبيرة كما خبرت مؤخراً، إذ توفي أغلبهم منذ وقت طويل، ومن تبقى منهم فقط هي جدته العجوز التي تقطن في منطقة أكتوبر.

- ولكنني سمعت أنه خاطب أيضًا...

- نعم أعلم ذلك، بالواقع أن خطيبته الشابة هي أول من علم بالأمر، وهي الآن ترقد في مستشفى قريب فاقدة الوعي، إثر إصابتها بوعكة صحية ألـمَّت بها من هول الخبر الذي سمعته، إذ شق عليها خبر وفاة (خاطبها) كثيرًا...

- أوه المسكينة...، رديت متأثراً بأسف، من كان متصورًا أن يحدث كل هذا في حياة أحدهم.

- معك حق..، لكن الحياة هكذا تسير دائمًا، تصبح على حال وتمسي على حال آخر بالكامل. بقي أن يعود التيار الكهربائي ونباشر التحقيق.

- لكن أخبرني بحق ماذا ترى في الأمر...؟! هل راودتك أي شكوك حول القضية...؟!

- لا شيء مميز البتة، تحدث مثل هذه الحوادث طوال الوقت، ولكني لم أرغب في مواصلة التحقيق على اعتماد هذه النتيجة فقط.

- ما الذي ترمي إليه بقولك هذا...؟

- هنالك ما أزعجني في الحادث ولم أستطع تبيان كنهه حتى الآن...

- لذلك طلبت أن تستمع إلى رأيي الشخصي، علَّك تريح ضميرك بذلك...!

- نعم صحيح ما قلت، أنا لا أتعمَّد الاستهانة بعملي إطلاقًا، لكن كما ترى أن من واجبي أن أنهي القضايا التي أعمل عليها بأفضل طريقة ممكنة، وهذا لا يضر من الاستعانة بعقل آخر مطلع إذا احتاج الأمر.

- شكرًا على ثقتك بي...

حينها سُمع صوت عالٍ لطرق بعد تشغيل المفتاح الرئيسي للعلبة الكهربائية خارج الشقة، معلنًا معه عودة التيار الكهربائي إلى كلا الشقتين، كاشفًا تحت أضوائه الساطعة ساحةً لجريمة من المرجح أن تكون من أصعب القضايا التي مررت بها حتى الآن...

الفصل السادس

ما أن عادت الأنوار إلى عملها حتى كشفت الشقة عن ساحتها لاستكمال التحقيق، إذ كان الموقف على غير المعتاد، ساحة جريمة من دون ضحية، وضحية ترقد بعيدًا في موقع آخر ـ كقطعتي لغز غير متطابقتين ـ حيث بدا الأمر منذ الوهلة الأولى وكأننا نحاول الجمع بين شيئين لا يتفقان إطلاقًا، فتجلت الشقة منذ الوهلة الاولى في فوضى عبثية، وهذا لأنها في واقع الأمر كذلك، ولما لا، فقد قضى الضحية الأسبوعين المنصرمين في أعمال الترميم والإصلاح المتواصل للشقة القديمة التي اشتراها مؤخرًا بعد ادخاره لجهد السنين، كومة من الرمال المتجمعة هنا، ومقدار من الأحجار في الزاوية، وبعض من حزم السيراميك ارتصت بجانبها، وقليل من الأخشاب وطيات الفرش البلاستيكي هناك، وعلب الدهان التي انتشرت في كل الغرف تقريبًا، والجدير بالذكر أن الأجهزة الكهربائية تكاد تكون منعدمة تمامًا كما قال الضابط عبد الكريم، ما عدا الإنارة الأساسية.

انتظرت قليلًا من الوقت عند باب الشقة حتى يفرغ خبراء التكنيك الجنائي من عملهم، من التقاطٍ للصور ورفعٍ للبصمات وغيرها من الأعمال المعتادة، أما الضابط فقد استرسل مرةً أخرى في الاستماع لإفادات الشهود من الجيران سكان العمارة، حيث نفى الجميع رؤية الشاب يستقبل أي زوَّار خلال الفترة الأخيرة، أو احتمالية سماع أصوات لمحاولة اقتحام ممكن أو أي حركة مشبوهة تحصل في هذا اليوم، مع ذكر أن الضحية لم يلازم الشقة في اليومين الماضيين، وذلك لبقائه خارجًا لأجل قضاء إحدى المشاغل، الأمر الذي أكده لي صديقة قصي وبقية عمال المحل، وما أن انتهى الضابط من عمله حتى نادانا خبير البصمات بعد أن لاحظ وجود مادة مجهولة المصدر أراد استشارتي بشأنها. اتجهت من فوري إلى الشرفة لألقي نظرة فاحصة علّي أتبيَّن ما تم العثور عليه. فعلى حسب خبير البصمات وجدت بقايا من مادة دهنية القوام شبه محترقة متناثرة على هيئة بقع في بعض المواضع من أرضية الشرفة، التي سبق واختلطت ببقايا ماء المطر الذي هطل اليوم، ما أتلف الدليل بطريقة جزئية، لكن كما بدا لي أيضًا من حالته الفيزيائية أنها لم تكن موجودة منذ وقت طويل، حينها ابتدر الضابط مستفسرًا عنها قائلًا:

- ترى ما أصل هذا الشيء الذي يغطي الأرضية...؟

رددت عليه وقلت: أعتقد أنها بقايا مركب أروماتي مستهلك، أو بالأصح أحد أنواع الشحوم التي تستخدم في محركات الآلات وعربات النقل الثقيل، لكن يبدو ايضاً ان عليها بعض آثار الاحتراق بعد أن استخدمت.

وما الذي جاء بها إلى هذا المكان...؟! هل تعتقد أن لها صلة بالحادث...؟

أنا لا أعلم حقيقةً السر ورائها، ويبدو أن البقع حديثة العهد، لكن ما يحيرني انها ما زالت محتفظة بحالتها شبه السائلة مع ان جوِّنا اليوم بارد.

وألقِ ايضاً نظرة عن كثب إلى هذه المنطقة - وأشرت بيدي إلى مجموعة البقع المتجاورة - سترى هنا علامات ظاهرة لآثار ناتجة عن انزلاق بحجم الأقدام البشرية.

- رحماك يا رب...، هتف الضابط عبد الكريم، هل وقع الشاب بعد أن زلَّت قدماه بهذا الشيء...!؟

يبدو كذلك...، ولكن كيف لهذه المادة أن توجد هكذا بحالتها المسالة، هذا الامر غير منطقي إطلاقًا، لأن هذا النوع من المركبات يبقى دائمًا في حالة صلبة في درجة حرارة الغرفة العادية، ويحتاج للتعرض المباشر إلى مصدرٍ حراريٍّ مرتفعٍ حتى يسيل، فما بالك ببرودة الهواء الخارجي في جوّنا الشتوي، فإذا فرضنا انه وجد في حالته الصلبة لاستصعب توفير القدر الكافي من مستوى الاحتكاك الناقص الذي يؤدي الغرض منه.

اردف الضابط عبد الكريم متسائلاً وقال:

- لكن هل تعتقد أن الضحية قد أتى به إلى هنا عن قصد بعد أن قام بتسخينه مثلاً، أو أن حرارة الشمس هي من تكفلت بذلك...؟

- لا...، أنا لا أوافقك الرأي في هذه النقطة، فمن المستبعد كل البعد أن تكون حرارة أشعة الشمس هي التي أحالته إلى هذه الحال، فكما ترى من موقع الشقة وإطلالة شرفتها يستحيل أن تصل أشعة الشمس مباشرة إلى هنا، إلا في ساعات محددة من اليوم، منذ ساعات الصباح الباكر حتى منتصف النهار، بالإضافة إلى أن درجة الحرارة المنخفضة هذه الايام لا تساعد على ذلك، والسماء ملبَّدة بالغيوم، ولا تنسى أيضًا هطول المطر في

يومنا هذا، فإذا ما وضعنا في الحسبان أن العوامل الجوية هي التي قامت بعملية التوسع الجزيئي للمركب حتى استحال لحالته السائلة؛ لكان المركب قد تعرض لدرجة حرارة عالية جدًا كفيلة لتحويل حالته المادية من شبه الصلبة إلى ما يقارب الحالة السائلة، تمامًا مثل درجة الحرارة التي تتولد في محركات عربات النقل.

وأضاف الضابط عبد الكريم لفرضيتي قائلًا:

- أو كحرارة موقد النار أو المكواة مثلًا...!

- أصبت في كلامك...، لكن الملاحظ امامنا أن الشقة لا تحتوي على موقد للنار أو حتى مكواة...

- إذا كيف حدث هذا برأيك...؟

- إنني لا أملك حاليًّا أي فرضية واضحة تدعم الأسباب الرئيسة لنشوء هذا الدليل المبهم، ولكن كما يبدو أن له صلة ليست بعيدة بالحادث...

رد الضابط معلِّلًا: إذا ما كان سبب الموت حادثًا عرضيًّا، فمرجح جداً أن تكون هذه المادة الغريبة هي ما سببته.

اعترضت بشدة على كلام الضابط عبد الكريم وقلت رافضاً إياه:

أطلب منك رجاءً أن لا تتسرع في إطلاق الأحكام المستبقة لأوانها، اعتمادًا على أدله متباينة التأثير، مجهولة المصدر بمجرد ان خالجك حدس بشأنها...

- أتريد القول إن ما حدث لم يكن المسبب له هو إهمال متعمد من جانب الضحية...!

إني لا آخذ حاليًّا هذه الفرضية مأخذ الوثوق، ولكن هنالك ما يثير الريبة في الموضوع، أشعر أن شيئًا ناقصًا قد غاب عني ولا أستطيع إدراك أبعاده حاليًّا، لدى عليّ حالياً ان اتريث قليلا لأجمع اكبر قدر ممكن من الأدلة واعيد صياغتها بما يربطها بالقضية...

حينها أقبل أحد الحراس، وقال مخاطبًا الضابط عبد الكريم بحرارة بعد ان ادى التحية العسكرية رافعاً يده بمحاذاة وجهة وضارباً بإحدى قدمية الارض بجدية:

- (أفندم)...

- ماذا الآن..!

- هنالك أحد الأشخاص يريدك في الأسفل...

- من يكون...؟ وماذا يريد...؟

- يقول إنه أحد التجار المعروفين، جاء ليقبض نقوده التي كانت بحوزة الضحية بعد سماعه بخبر موته.

- عن أي نقود يتحدث _ هتف الضابط بمقت وانزعاج _ هؤلاء التجار لا رحمة عندهم ولا صبر...!

انصرف الضابط في شأنه وبقيت أنا مع اخصائي البصمات أعاين سياج الشرفة بحرص والذي بدا لي من الوهلة الأولى متهالك المظهر، لكنه أظهر عكس ذلك تماما، بعدما اقدمت على محاوله زعزعته أكثر من مرة، لدحض احتمال أن يكون عدم استقراره السبب في سقوط الضحية، ولكنه ظهر لي شيئاً آخر غير ذلك، فقد كان طوله اقصر من المعتاد بعض الشيء، وكان معزولًا تمامًا من أي غلاف خشبي أو بلاستيكي على قمته، كالتي تتميز به بقيّة أسياج الشرفات، فبدا للناظر كقطعة معدنية بالكامل، وما

جعله يظهر بمظهر السياج تلك الزخارف التي احتوت جوانبه، بينما بدا منظر الأرضية المبللة بالمطر والبقايا الدهنية مشؤومًا للغاية، فهل حقًّا انزلق الضحية من غير قصد وهوى من شرفته بهذه الطريقة المفزعة او ان امر اخر قد وقع، هذا ما لم أستطع التأكد منه حتى الآن...

هممت فور انتهائي من عملي بالنزول إلى محل قصي علّي أجد بعض الإجابات لتساؤلاتٍ لطالما حيرتني، فلمَّا وصلت إلى الشارع قبالة بوابة العمارة وصلتْ إلى مسامعي أصوات عالية كان مصدرها محل الإنترنت، إذ بدى وكأن جدال عنيف قد نشب بين قصي وساهر - الشريك في المحل - خرج الأخير على إثره منزعجًا بشدة، بعد أن كال السباب الفظيع، وألقى الوعيد الشديد على عمال المحل، فأسرعت باتجاه بوابه المحل بعد أن انصرف صاحبنا وولّى، ووجدت قصي منفعلًا جدًا وجالسًا على أحد الكراسي يتمتم ببعض كلمات والشتائم التي لم افهم منها شيئاً، فاتخذت لي مكانًا بجواره وقلت له:

- وماذا الآن، هل حصل شجار آخر...!

رد قصي بانزعاج مشيحًا بيده في الهواء قائلًا:

- يا أخي هذا ساهر لا يزال يسبب لنا المشاكل...

- ما باله هذه المرة...؟

- لقد أتى التاجر الذي استدان منه عمار مبلغًا من المال قبل فترة، يطالب بما هو حقه من دين، محضرًا معه الكمبيالات التي تؤكد استدان عمار منه...

- إذا ما المشكلة، هل لا يتوافر لكم المبلغ المطلوب...!

- ليس الأمر كذلك، لكن المبلغ كبير جدًا، وما يتوافر معنا من سيولة لا تفي حقه إطلاقًا، ومفتاح الخزنة - التي توضع بها إيرادات المحل عادة - ليس متواجدًا معي، إنه بحوزة جدة عمار.

- حسنًا...، إذا كان الأمر على هذا النحو خذوا المفتاح من الجدة وأعطوا الرجل حقه...

حدجني قصي لحظتها بنظرة شاخصة وقال بجدية بنبرة من خبر سراً خطيراً:

- أوتدري كم مقدار المبلغ الذي استدانه عمار من التاجر...، (عشرون ألف دولار أمريكي)...

يا إلهي _ هتفت حينها منذهلاً _ وماذا يصنع عمار بكل هذا المبلغ الضخم.

- وما أدراني أنا...، _ هز قصي كتفية نافياً _ يبدو أنه احتاج الكثير من المال عندما اشترى الشقة...

- وما دخل ساهر إذًا بالموضوع...!؟

- أنسيت أنه الشريك في محل النت، إذ اشترط أن ينتهي الأمر سريعًا، ويأخذ التاجر محل الإنترنت مع الشقة تعويضًا له، بعد أن يعطي الأخير ساهر نصيبه من محل الإنترنت، لأنه لم يعد يرغب بمواصلة الشراكة بعد الان، ولأجل أن تصفى كل الديون المتخلفة، وإلا سنتحمل نحن كل المسؤولية على حد قوله، ونمسي كلنا في الأخير في الشارع من غير عمل...

عقبات جديدة أضيفت للقضية تزيد من مستوى صعوبتها بعد وصولها لهذا المستوى المتأزم، فكما يبدو أن مشكلة صديقنا أصبحت تشتمل على المزيد والمزيد من المعوقات والحواجز، وأنا من كنت أعتقد منذ الوهلة الأولى أنها ستنتهي بمنتهى السهولة، إذ رجحت كفة احتمالية الفعل الآثم مرة أخرى، مع وجود دوافع كثيرة طمعًا في ميراث الضحية إذا ثبتت عندها جريمة القتل...

الفصل السابع

بقيتُ في المحل محاولًا ترتيب التشتت البالغ لحبال أفكاري إثر التطورات الأخيرة التي طرأت على سير مجريات القضية، إذ بدت النتائج التي ما برحت أن لاحت لي في الأفق ذات عواقب ليست بحميدة إطلاقاً، فكما هو غير متوقع أعطت الدلائل المهمة التي تجلت مؤخرًا على واجهة الوقائع، العديد من الاحتمالات السلبية والغير مستحبة في مآلها، والتي لم تكن في الحسبان حتى الآن، كون كل ما كان يدور حول الضحية منذ بداية التحقيق أصبح مؤخرًا ذا طابعٍ مبهمٍ على الاستيعاب، فكيف لشخص مثله أن يضع نفسه في خضم هذا الرهان الصعب، ويبذل الكثير من الوقت والجهد لأجل تحقيقه، ومن ثم يتخلى عنه هكذا فجأة في آخر المطاف، وبهذه البساطة والاسلوب اللا مبرر، تاركًا للجميع خلفه قدرًا ليس بيسير من الأسئلة وعلامات التعجب التي استحالت على الفهم والاستيعاب، ولما أبداه الموقف من مستوى جديد من عمق في الحقائق، آثرتُ حينئذٍ التريث

قليلًا للاطلاع على أكبر قدرٍ ممكنٍ من المعلومات المناطة بالضحية نفسه، كالتقرير النهائي للطبيب الشرعي وما الذي قد توصل إليه ابعد مما توصلنا إليه سابقاً.

عندما عجزت وقتها عن إيجاد الضابط عبد الكريم، ارتأيت أنّ من الأفضل لي البقاء في المحل مع العامل لوقت اطول، بعد أن تعدت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، بالإضافة إلى أنني وجدتها من جهة أخرى فرصة مواتية لأستشف معلومات إضافية عن أهل الضحية، فكما هو معروف سابقًا أن جدّته العجوز تقيم بمفردها في منزل صغير بمنطقة أكتوبر، ولكن رجال البوليس عجزوا حتى الآن عن مفاتحتها بموضوع الشروع في التحقيق الجنائي، مراعاة لصعوبة الوضع الذي تمر به حاليًا، بعد أن توفي حفيدها الوحيد، والذي كان دائم التردد على زيارتها منذ أمدٍ ليس ببعيد، وبالإضافة إلى حالتها الصحية الحساسة في هذا العمر المتقدم بعد ان رق عظمها وانحنى جسدها وباث الفراش جل حركة يومها. وبينما أنا مشغول في غمرة هذا كله، إذ مر المعاون الذي رافق الضابط عبد الكريم

قبلًا في شقة الضحية مسرعًا بخطىً واسعة وسريعة أمام بوابة المحل، فاستوقفته أسائلة عن مكان الضابط، فرد عليّ وقال:

- إنه موجود الآن بمكتب التاجر الواقع في أحد المخازن بمنطقة (الدكة)، وطلب مني أن أرجع على الفور إلى المحل بمجرد أن قمت بإيصاله إلى هناك، وقال لي إن (شيخ الحارة) في منطقة سكن الجدة سيأتي بعد وقت قصير ومعه مفتاح الخزنة في حالة ان استجابت الجدة لمطالبه، لذلك وجب عليّ أن أكون موجودًا في المحل لأرافقه عندما يصل.

رددت عليه مستغربًا كلامة وقلت:

- لماذا...، أيوجد مشكلة ما...!

- لا مشكلة إطلاقًا...، ولكن يبدو أن الجدة تمر حاليًّا بوضع نفسي متأزم، ومن بالغ الصعوبة علينا أن نحملها على أن تستجيب لمطالب (شيخ الحارة)، فاحتمال كبير أن يرجع الأخير من غير نتيجة تذكر...

- المسكينة (الله يكون بالعون)...، ألم يقل لك الضابط عبد الكريم عن اي وقت سيرجع إلى هنا، أريد أن أطلب منه معروفًا.

- ماذا تريد منه...؟ يمكنني أن أقوم بإيصالك إليه إذا أردت ذلك لانه مشغول في موقعة حاليا، ولكن بعد أن يصل (شيخ الحارة) وينهي عمله...؟

- أريده أن يعطيني تصريحًا خاصًا لدخول غرفة المشرحة، أرغب بالتأكد من حالة الضحية عن قرب، وإلقاء نظرة سريعة عليها قبل صدور التقرير النهائي للطبيب الشرعي...

رد المعاون بحرج وقال:

- أوه...، التقرير النهائي...، أعتقد أنه سيتأخر بعض الوقت، ربما لأكثر من أربعٍ وعشرين ساعة، يبدو أن هنالك ما يشغلهم في عملهم حتى الآن...

- حسنًا جدًا، ولكن لم تقل لي لماذا ذهب الضابط ليقابل التاجر في مكتبه...! هل حصل خطب ما...!؟

- لا... الأمر عادي جدًا، إذ كان ذلك نزولًا عند رغبة التاجر نفسه، حيث إنه طلب من الضابط عبد الكريم مرافقتث إلى مكتبه عندما قدم إلى هنا سابقاً، لأجل أن يريه الوثائق والكمبيالات التي وقَّع عليها الضحية _

المحفوظة في خزنته الخاصة والقابعة عندة _ ليؤكد للضابط صحة أقواله ويثبت استدانة الضحية منه.

- هكذا إذًا...، لكن عجيب أمر ذلك التاجر...!

ماذا تقصد بعجيب...، أنا لم أفهم قصدك...؟!

- أقصد بكلامي السرعة التي استجاب بها للإعلان عن حقوقه بعد موت الضحية مباشرة.

- وماذا في الأمر...؟ لقد أتى ليقبض النقود التي هي من حقه...!

نعم أتى ليقبض نقوده، ولكن ما أدهشني هي السرعة التي استجاب بها، فكما تعلم أنه لم يمضِ الكثير من الوقت على وقوع الحادثة، بضع ساعات لا أكثر...

- رد المعاون على تفسيري بانفعال وحرارة ظاهرين وهتف قائلًا:

- أتقصد أنه كان على علم من أن الضحية سيلقى حتفه...!؟

- لا لا...، أنا لا أقصد هذا الكلام إطلاقًا، ولكن الظاهر أن هنالك من أوصل الأخبار للتاجر وأخبره بالحادث فور وقوعه...

- إذا كان الأمر على هذا النحو فلا يوجد ما يقلق في الأمر، فأخبار كهذه اسرع انتشاراً من مرض زكام موسومي...

وقتها ضحكت ضحكة باهتة من تشبيه المعاون الدقيق وقلت رادً على كلامه:

- أتمنى أن يكون بهذه البساطة مثلما تقول، ولكنني أخشى أن تشتمل القصة لاحقا على ما هو أكثر من ذلك بكثير...

ثم أضفت لكلامي وقلت للمعاون:

- حسنًا إذًا...، يكفي فرضيات مستفيضة حتى الآن، ولندخل للمحل لننتظر وصول (شيخ الحارة) عسى أن تؤول الأمور إلى خير مآل...

بعدها بمدة قصيرة أقبل حسام الذي غاب عن ناظري لفترة طويلة، فسألته عن سبب اختفائه، وإذا كان قد علم بأي معلومات جديدة تفيدنا في القضية، فأخبرني أنه كان في منزل الجدة سوسن منذ الحين الذي كنت أنا به برفقة الضابط عبدالكريم، مضيفًا إلى كلامه أنه أخبرها بضرورة بقائنا في الخارج حتى ساعة متأخرة، جراء انشغالنا في التحقيق الذي لم ينتهِ حتى الآن، وعليها أن تتصل بأمه لتفهمها سبب تأخرنا.

أصبحنا حينئذٍ أربعة أشخاص في المحل ننتظر وصول مفتاح الخزنة، حتى لم تمضِ بعدها أكثر من نصف ساعة، إلا وأقبل قصي يرافقه (شيخ الحارة) الذي كان رجلًا كبيرًا في السن ذا لحية بيضاء كثيفة ووجه امتلأ بتجارب الحياة، ولكن ما لفت انتباهي أكثر هي ملامح قصي المضطربة بشدة، إذ بدت عليه علامات الانفعال العارم ظاهرةً، وصرخ بسخط بالغ بعد أن امتعقت ملامحه وطغى شحوبًا قاتم على كامل وجهه ملقيًا بكلامه نحوي حينما رآني:

- ليتني لم أذهب إلى هناك قط...

استغربت من كلامه وقلت له مهدئا إياه:

- خير...، ماذا هنالك...؟ لماذا تقول هذا الكلام...؟!

صرخ مرة اخرى وقال بكلمات سريعة وهو واضع يدية على رأسه:

- الرحمة...، لقد كانت تجربة قاسية جدًا، فلم أستطع أن أعمل أي شيء أو حتى أقول أي شيء في بيت الجدة.

رددت عليه باستغراب أكثر وقلت:

- وما الذي حملك على قول هذا الكلام...؟ ما الذي حصل في بيت الجدة، ألم تستطع أن تحضر المفتاح معك...؟!

- بلى أحضرته معي ولكن بعد (أيش)، الوضع كان مزريًا جدًا في بيتها، النساء يصرخن عاليًا ويعولن بشدة، الجميع كان موشحًا بالسواد في ملبسهم ووجوههم، أناس يدخلون البيت وأناس يخرجون منه طوال الوقت، والجدة ملقاة على الأرض لم تستطع النسوة زحزحتها من مكانها تبكي بحرقة وتنتحب تريد ولدها الذي فقدته، حتى إنها لم تستطع أن تتعرف على صورتي إطلاقًا، اتصدق ذلك...، فكان الوضع هنالك مأساويًا جدًا، فلم أستطع أن أمنع نفسي عن البكاء أيضًا...

- ولكنها أعطتك المفتاح صحيح...!

- نعم أعطتني إياه، إذ تدخلت زوجة (شيخ الحارة) وأفهمتها أهمية الموضوع وان هذا الامر مبني على طلب رجال البوليس أنفسهم، فهدأت بعض الشيء، ورضخت الجدة في آخر المطاف لمطلبها،...

رددت متنهدًا وقد انفرجت اساريري:

- الحمد لله...

فأكمل قصي كلامه بانفعال شديد وانتحاب شاب صوته، وصاح قائلًا:

- أريد أن ينتهي الأمر بأسرع ما يمكن، أريد أن يعجلوا ويدفنوا عمارًا، فلا أعرف كم بمقدوري البقاء هكذا، أكاد أن أفقد صوابي بعد كل ما مررت به، فلم يعد يهمني بعد الان أمر المحل ولا الشقة، ليأخذوا كل ما يريدون وليتركونا لحالنا...

أثَّـر بي هذا المشهد بشدة، فصرخت بدوري في وجه قصي حتى إنني كدتُ على وشك أن أوجّه لكمة إلى فكه، لما رأيته من علامات الانهيار البالغ التي بدت ظاهرة بقوة على ملامحه المحتقن وقلت مهدئًا إياه:

- تمالك نفسك يا هذا - حبًا في الله - يكفي نحيبًا كالأطفال، الناس تموت يوميًّا في كل مكان، وأنت بمجرد أن مسَّك شيء من الضرر تهوِّل الحال وتلقي بنفسك إلى حفرة البؤس، أتـريد أن تبقى هكذا لبقية حياتك

اسيراً أم ماذا...؟! يكفي إلى هنا، ولتدع كل شيء يمضي في حاله، فلست مسؤولًا عما يحصل لأحد...

شُدِهَ الجميع من هول المشهد المريع الذي دار امام اعينهم وأحجموا عن الكلام بعد أن انعقدت ألسنتهم وأطبقت أفواههم كالمحار، حتى إن (شيخ الحارة) نفسه ملأه قدرٌ من الاستغراب لما رأى أمام ناظريه من عجب، فلم يعد الموقف يحتمل الكثير من التطويل اكثر، حتى القضية نفسها التي أبت أن تستمر إلى الآن إلا بطريقتها الخاصة، حتى وإن كانت ناقصة الحل، كان الواجب عليّ إنهاء بأسرها بأسرع ما يمكن، رحمة بالموجودين وكرامة للميت نفسه...

بادر المعاون حينها بتلطيف الموقف، ثم تقدم تجاه الخزنة حاملًا مفتاحها في يده، فأدار قفل الأمان ليحرر المصاريع الداخلية للخزنة بعد أن أعطاه قصي رمز القفل الذي اوتي به من عند الجدة، ووضع المعاون المفتاح في مكانه وادارة، فأصدرت الخزنة صوتًا رهيبًا معلنة عن فتح بابها، حتى إذا اجتمع الكل بنظراتهم المتلهفة والمحمومة تجاه ما يوجد بداخلها، ليعرفوا ما تخبئه، انقلبوا منذهلين أشد الانذهال جراء رؤية ما احتوته، وأطلّ قصي

المغموم من خلفهم لينضم للمشهد، فحدجها هو الآخر بنظرة شاخصة لبرهة ثم صرخ بأعلى صوته قائلًا:

- اللـــــعنـــــة ....

خرج قصي مسرعًا من المحل إثر هذا المشهد، صافقًا الأبواب الزجاجية خلفه، فهتفتُ حينها لابن عمتي، وحثَّيتُهُ على اللحاق بصاحبه وملازمته أينما ذهب، وقلت بإنفعال للمعاون بعد أن غاب عني المشهد الأخير...

- ما الذي حدث، ماذا وجدتم في الخزنة...؟

أجاب المعاون ببساطة وقال:

- لم يحدث أي شيء، لأن الخزنة كانت فارغة...

الفصل الثامن

ما إن وصلت التطورات الشائكة لذروتها لم يتبقَّ في يدي سوى هذا الملجأ الأخير حتى اقدمة وكلي امل، عسى به أن يكون ذا فائدة تذكر لما تبقى لدينا من الوقت في وضعنا الحرج هذا، حيث اوصدت أمامي كل الأبواب الممكنة، وتداعت جميع الفرضيات المحتملة، والتي لطالما بنيت عليها آمالًا عريضة منذ البداية، فكان السبيل المتبقي لدي هنا هو بطرح ذلك السؤال المحيِّر الذي لطالما أرّق الجميع منذ البداية، والذي سبق وشاب الوضع بكمية ليست بيسيرة من الغرابة المبهمة، ألا وهو (كيف مات الضحية؟)... فهنا بالذات وجدت طريقًا ذا اتجاهٍ واحدٍ لا اكثر، منحني تصورٍ محتملٍ لنهاية الأحداث، إذا تأكدت فرضيته وصحّت في آخر المطاف، وها أنا الآن أضع قدمي وأولى خطواتي على الطريق التي رجوت بشدة أن ينقلب إليّ إن فلحت جهودي في نهايته بإنجاز قيِّم. فهممت إثر المشهد الأخير – الذي كاد ان يخرج عن السيطرة – بالتوجه برفقة معاون

الضابط – والذي أظهر قدرًا ليس بيسير من النباهة وخصوبة المخيلة – صوب المكان الذي يتواجد فيه الضابط عبد الكريم مستقلًا وسيلة نقل سريعة بمجرد أن أعطاه (شيخ الحارة) مفتاح الخزنة لينصرف في شأنه.

لم تكن الطريق طويلة جدا تجاه وجهتنا، مجرَّد بضعة كيلومترات قطعناها عبر عدة شوارع التففنا حولها إلى أحد المخازن التي ارتصت قبالة ميناء المعلا حيث يقبع مكتب التاجر. كانت الساعة حينئذٍ قد تعدّت الثانية بعد منتصف الليل، لكن التطورات الساخنة التي مررنا بها في الساعات الأخيرة المنصرمة، أنستني الإحساس بالوقت وسط تفكيري الدائم والانشغال المتواصل بالقضية، فهدأت سرعة وسيلة نقلنا بمجرد أن دخلت منطقة المخازن، ولمحت من على بعد تحت الأضواء الكاشفة لأعمدة الإنارة، الضابط عبد الكريم يقف في منتصف الشارع يلوِّح لنا بيده لمكان وقوفه، فترجَّلت من العربة لحظة وصولي، وسألته عن صحة حُجَّة التاجر فأجاب عليّ وقال:

– ليس هنالك ما يثير الريبة في الوثائق التي قدَّمها، إذ تأكَّدت بنفسي من تطابق خط الضحية وإمضائه بعد مقارنتها مع فواتير واوراق

قدمها لي عامل المحل فيما سبق، وقد وصل لي ايضا خبر ما حصل في المحل بخصوص الخزنة، يبدو أن صديقك قد ورط نفسه في ما يفوق قدرة احتماله، أخشى أن الامور لم تعد تبشر بخير بعد الان...

معك حق في كل ما قلت، ولكن أرجو أن تعطيني قبل كل شيء وعلى جناح السرعة تصريحًا خاصًّا بدخول غرفة المشرحة، أريد أن ألقي نظرة سريعة على الضحية قبل قيام الطبيب الشرعي بعملية التشريح، هنالك ما يوقظ سكينتي منذ البداية وأرغب بالتأكد منه.

هذا فقط...، لا مشكلة في ذلك، سأتصل من فوري بالمشرحة وأخبر مساعد الطبيب الشرعي أن يتعاون معك، وسأضع المجنَّد رأفت في خدمتك أيضًا، سيرافقك طوال الوقت، وسيوفر لك كل ما تحتاج، أما أنا فسأرجع إلى شقة الضحية لأواصل العمل وأبقى هنالك حتى ترجعوا بنتيجة طيبة، لذا أرجو لكم كل التوفيق في مساعيكم...

بمجرد أن فاه الضابط بهذه الكلمات انطلقنا من فورنا تجاه الموقع الذي ترقد فيه الضحية، وحال وصولنا بقي المعاون رأفت في السيارة فتقدمت بمفردي لبقية الطريق. كان المكان باردًا كئيبًا عندما وصلت،

وتفرعت امامي عدة ممرات في كل اتجاة لم اعرف لها قرار، وانعكست أضواء المصابيح العديدة التي تدلَّت من السقف على الجدران الرخامية بقوة معطية انعكاس ابيض مبهر، وفاحت في الجو رائحة نفَّاذة لمحاليل كيميائية لطالما اشتهرت بها هذه الأماكن، وساد صمت مطبق عم المكان حتى شككت منذ الوهلة الأولى أنه أخلي عن آخره، لكني وفقت بالعثور على احد العاملين في المرفق حتى إذا وصلت إلى غرفة حفظ الجثث ودلفت إليها وجدت مساعد الطبيب الذي كان في انتظاري.

كان شابًا في العشرينيات من عمره، ذو وجهٍ مبيضٍّ شاحب، وأنفٍ منتصبٍ بارز، وشعرٍ أسودٍ داكنٍ بلون الليل، وخطوطٍ سوداءَ عريضةٍ ارتسمت منحنية في اخاديد تحت عينيه الغائرتين في محجريهما، وملابس تحت معطف الاطباء تدل على دوق غير مألوف والذي دلَّ ذلك في مجملة على شخصية ذي ذكاءٍ عالٍ، برغم المظهر اللامبالي والهيئة الغريبة التي بدت منه، فقال بمجرد أن رآني:

- أنت أحمد مهران...، لقد كنت في انتظار وصولك، اتصل بي قبل قليل الضابط عبد الكريم وأخبرني أنك جزءٌ من فريق العمل، وأنك قد قدمت إلى هنا في أمرٍ مهمٍّ، فكيف أستطيع أن أخدمك...؟

تفاجأت من أسلوب المعاون اللبق ورددت عليه:

- جيد جدًّا...، لكن قبل كل شيء ارجو ان تخبرني بمكان الطبيب الشرعي...؟، هنالك بعض الامور ارغب في مناقشتها معه بخصوص الضحية...

- أوه...، تقصد الدكتور شوقي...، إنه على سفر في هذه الفترة لأمر خاص، وأنا موجود حاليًّا لأنوب عنه، لدى قل لي كيف أخدمك، وساوفر لك كل ما تحتاجه بقدر الامكان...

- عال لكن اولا أريد أن ألقي نظرة على بدن الضحية.

- طلبك مجاب، اتبعني من فضلك...

تبعت المساعد إلى إحدى الخزائن المبرّدة، التي توضع فيها عادة الأجساد البشرية، وفتح باب الخزانة،- الذي كان اشبه بدولاب جرار يظهر محتوياته بمجرد ان تسحبة للخارج - فرأيت رأس صاحبنا ظاهرا عن بقية

جسدة موضوعًا في كيس بلاستيكي كبير، فوجَّهت سؤالًا للمساعد بعد ان فتحت جزءً يسيرا من السحاب لاتفحص القرائن الاولية سريعا قائلاً:

- هل أظهرت نتائج الفحص الأوَّلي أي علامات مميزة اخرى على بدن الضحية...؟

- لا...، ليس الكثير، وإن كنتَ تقصد بقايا مخلَّفات من الحادث، فلم أجد شيئًا مثيرًا للشبهات...، لا خدوش سطحية مريبة ولا آثار حروق أو حتى علامات موضعية للحقن، إن كان سبب سقوطه مثلا فقدانه للوعي متأثرًا بإبرة مخدرة أو ما سواها.

- حسنًا، وماذا بخصوص أيدي الضحية...؟، هل اظهرت اي شيء...؟

- مثل ما قلت لك سابقًا، لا آثار ظاهرة للعين كجروح صراع، ولا بقايا جلد ممزق تحت أظافر مكسرة، ولا حتى علامات مثيرة الشبهة، الوضع عادي تمامًا، فلم أجد سوى بعض الكدمات المتفرقة والناتجة عن السقطة، والكسور المختلفة الشدة، ودلائل لانزلاقٍ غضروفي في الفقرات الرابعة والخامسة للعمود الفقري، وجرح رأسه الذي كان بزاوية أفقية

متناظرة تبلغ مقدار خمسة وأربعين درجة، وبعض من آثار الصدء على راحة يده اليسرى، والذي يدل في مجملة على آلية سقوطٍ نظيفةٍ تمامًا، حتى نتائج الفحوصات الكميائية والسموم كلها كانت في المستوى العادي...

رددت بإعجاب على التقرير المفصل للمساعد وقلت مطريا على كلامة:

- حسنًا جدًّا...، ولم تقوموا بعملية التشريح حتى الآن...؟

- لا...، لم نقم بها حتى الآن، وإن كانت العملية مناطةً بي، لقمت بها منذ أمدٍ بعيد...

ضحكت ضحكة حماسية وقد داهمني الانبهار وقلت رادا على تعليقة وانا امسح عيني من الدموع:

- الحمد لله أن العملية ليست مناطةً بك...

- أتريدني أن أضع الجثة على الطاولة حتى تراها جيدًا.

- لا شكرًا، يكفيني وجودها هنا...

بقيت لوحدي اتفحص جسد الضحية بعناية محاولًا التدقيق في أصغر التفاصيل الممكن ملاحظتها وقلت بطريقة مجازية وانا اتأمل منظر الجثة بعد ان لفت بكيس بلاستيكي اسود وفرغت من الحياة:

- ترى ما هي الأسرار التي تخبئنها لنا...؟!

تنبه المساعد لجملتي البلاغية وقال متعجبًا:

- وهل تعتقد أن الضحية تستطيع الكلام حتى تجيب عن تساؤلاتك...!

أجبت على كلامة وكلي ثقة وتفاؤل قائلًا:

- تستطيع أن تجيب بطريقتها الخاصة...، إذا وجهنا لها السؤال المناسب...

ثم أردفت مندهشاً وقلت بصوت مسموع:

- هذا أمر غريب جدًّا...

- ما الغريب في الأمر...؟ هل اكتشفت دليلًا غامضًا لم ألاحظه قبلًا...؟!!

انظر هنا... وأشارت مباشرة إلى يد الضحية فدنا المساعد منها، واضعًا القفازات البلاستيكية ليتفحّصها بكلتي يديه، ثم قال:

- ماذا هنالك، إني لا أرى شيئًا...!

- أنا لا أقصد أي أثر على اليد، بل أنا أقصد حالة اليد نفسها...، انظر إلى وضعية انقباض اليد.

رد المساعد باستغراب متحسسًا وضعية اليد:

- ما الذي ترمي إليه بكلامك هذا...؟ الأمر طبيعي جدًّا هنا، لأن الجثة لا زالت تمر بمرحلة التصلب في هذه الأوقات، ومن الطبيعي أن تنقبض اليد بعض الشيء...

- أنا لا أقصد الانقباض الذي يحدث بعد الوفاة، إنما أقصد أن هنالك ما حمل الضحية على ضمِّ يده بهذه الطريقة الملفتة للنظر قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، مما تسبب في استمرار بقاءها على هذه الحالة الغريبة بعد الوفاة...

- يا إلهي، ماذا تقول...؟ لأن هكذا أعراض لا تحصل إلا في حالة وجود انقباض عضلي شديد كما في حالة التشنج أو رد الفعل الحركي، ولكن كيف لهذا أن يحدث، هذا أمر بعيد عن التصديق...

- أنا معك في هذا الاعتراض إذ إن الضحية كان في صحة جيدة...

- إذًا أترجح فرضية تعرضها لهجوم من شخص ما مثلا...؟! فكما سمعت سابقًا أنه يبقى وحيدًا في شقته، مؤصدًا بابها من الداخل، وليست هنالك أي منافد محتملة تسمح لأي أحد بعملية التسلل...

- صحيح ما قلت، ولكن ماذا إذا تعرضت الضحية للهجوم من شيء مجهول بدلًا من شخصٍ مجهول، تركت الضحية من غير ادلة معروفة وكانت موجودة في الشقة اساسا...

وقتها زاد تعقيد الموقف على المعاون فقال منفعلًا محركا يدية امامة:

- انتظر انتظر قليلًا...، ما هذه الفرضية التي أتيت بها قبل قليل...؟! كيف تستطيع أن تقول مثل هذا الكلام...؟!!

- أنا لم آتي بما هو مستحيل على المنطق...، والذي أقصده أن ما أدى إلى سقوط الضحية قد يكون أصلًا وجد في الشقة من قبل أن يحصل الحادث بوقت طويل.

- ماذا...؟ هتف المساعد بأعلى صوته وقال:

- كيف بالإمكان أن يحصل ذلك، وكيف لشيء موجود قبلًا في شقة الضحية أن يكون سببًا في وفاته، هذه النقاط لا تتصل إطلاقًا إلا في حالة...

قاطعتة عبارة المساعد في اضافة إلى كلامه وقلت:

- إلَّا في حالة أن يكون الضحية نفسه من سمح للقاتل بدخول الشقة في وقت سابق ومن غير علمه عندئذٍ بالنوايا الخبيثة المبيتة تجاهه...

رد المساعد بعد أن استحال عليه تصديق فرضيتي المعقدة وقال:

- ربَّاه...!! إذًا المشكلة خطيرةٌ جدًا في هذا الشأن...

- أرأيت كيف، الآن فقط أمسكت طرف الخيط الحقيقي، إذ أنني لم أستطع أن أربط الكثير من النقاط منذ بداية التحقيق؛ لأنها كانت غير

منطقية إطلاقًا بالنسبة لي في السابق، ولكن اختلف الأمر كثيرًا الآن، بمجرد أن رأيتها من وجهة نظر أخرى مستفيظة خارجة عن السياق...

رد المساعد مبتسماً بتأثر وعينية تلمعان ذكاءً وحماسً قائلا:

- معنى هذا أنه في حالة وجود قاتل محتمل، فسيكون من أحد معاريف الضحية، وقد استخدم هذه العلاقة الخاصة ليستطيع الدخول إلى شقته من دون أن يثير اي شبهات.

- نعم...، وبالإضافة إلى أنه استفاد من هذه المعرفة لينصب فـخًّـا متقنًا اعتمادًا على العادات اليومية للضحية، فبدى سقوط الضحية للجميع من الشرفة في توقيت معين، وكأنه حادث عرضي لا أكثر حتى لا تحوم حوله اي شبهات ولكي تقبل احدى الفرضيتين السابقتين - الانتحار او الحادث العرضي- امرا مسلما به...، بقي علي ّالان ان اكشف اخر الخطوات التي طبقها القاتل لاستطيع احكام الدليل المصاغ ولكي اخرج بنتيجة مستوفاة...

اردف المساعد اخيرا وابتسامة خفيفة متعبة مرتسمة على شفتية وقال:

- أرجو أن تكون قد توصَّلت أخيرًا إلى حلٍّ مُرْضي، لأنني نلت كفايتي من التشويق لهذا اليوم، أشعر ببعض الصداع جرَّاء ما قمت به من عصف ذهني حتى الان، أتريد قدحًا من القهوة...؟

أجبت عليه مبتسما باندهاش وحرج هازا رأسي وقلت:

- هنا...، لا لا شكرًا...

- رد المساعد: حسنًا كما تريد، أنت الخاسر، سأكون موجودًا في المطبخ، أما إذا ما احتجت أي شيء من المتعلقات الشخصية التي كانت مع الضحية ساعة الحادث، فستجدها كلها في تلك السلة...

- حسنًا... رددت قائلا ومضى المساعد في شأنه.

بقي صديقنا مهران يقلب على مهل محتويات السلة التي وضعت فيها متعلقات الضحية، والتي كانت معدودةً جدًا، مجرد سماعات للهاتف، وهاتف محمول، ومقياس للاطوال من النوع الذي يستخدمة عمال البناء، كان بجيب الضحية ساعة وقوعه، وضِعَتْ كلًا على حدة في أكياس

بلاستيكية معنونة، فبدأ أحمد بالمقياس والسماعة ولاحظ أن السماعة متوقفة عن العمل، ثم انتقل إلى الهاتف، فقلَّبه بيده يتفحَّص حالته، ثم حاول تشغيله ولكن من دون اي جدوى، فقال رافعًا صوته مخاطبًا المساعد:

- هل تأكدت من سلامة عمل الهاتف من قبل...؟

أقبل المساعد في لهفة وقال:

- الهاتف...، لا لم يشتغل إطلاقًا ولا حتى السماعات، يبدو أن قوة الصدمة قد أثرت فيهما، برغم أن مظهرهما الخارجي يوحي عكس ذلك، أرجو منك المعذرة، سأخرج قليلًا لأجري اتصالًا هاتفيًا خاصا، نادني عندما تسمع صوت صفارة الغلاية الكهربائية...

غادر المساعد وعدت للانخراط في التيار المتدفق لأفكاري الجارفة، مستعرضا كل الحقائق المتوفرة ومحاولًا أن أجد قاعدة أساسية تجمع كل هذه النقاط المتفرقة التي قمت بجمعها حتى الان، حتى إذا سرحت في بالي بعيدًا وصل إلى مسامعي صوت صفير الغلاية الكهربائية، فناديت على المساعد:

- هاي... يا أنت،، الغلاية، أين ذهب هذا...

لم يسمع المساعد ندائي وتقدمت لأطفئ الغلاية، فكانت الدهشة وقتها أن بلغت ذروتها عندما رأيت الغلاية وهي تصفر بشدة...

فهتفت بأعلى صوتي مرة أخرى مناديًا المساعد:

- هاااي... يا أنت،، الغلاية...

أقبل المساعد يتخبط مسرعا ليطفئ الغلاية وقال بصوت رصين منزعج:

- اسمي عادل...، - اوه يا رحيم السماوات - ألم تستطع أن تطفئ الغلاية بنفسك...

- لا لا...، رددت عليه بإنبهار وسرور وقلت:

- أقول لك الغلاية هي الحل...

- ماذا...؟ هتف المساعد...، الغلاية الكهربائية...!! كيف ذلك...؟؟؟

- نعم الغلاية، اعطني مفك براغي...

- ناولني المساعد حينها مفتاح براغي من درج قريب وبقى يرقبني في تركيز وانا منهمك في فتح الهاتف عن آخره وقلت حينما انهيت عملي:

- انظر هنا، إلى اللوحة الأم، ماذا ترى أمامك...؟

- رد المساعد: ليس الكثير، أنا لست اختصاصيًّا فنيًّا...

- صحيح ما قلت، لست على علم بآلية عمل الدارات الإلكترونية المعقدة، ولكن ستلاحظ آثار العطب والاحتراق الداخلي في بعض المكثفات والدارات، وهذا لا يحصل إلا عند تعرضها لصدمة كهربائية قوية وسنتأكد من هذا الكلام إذا استخدمنا جهاز الاميتر...

- إذًا قل لي كيف تفسر وصول التيار إلى داخل الهاتف...

- نعم كيف...، وهنا أتى دور الغلاية الكهربائية أو بالأصح طريقة عمل الحث الحراري الناتج عن سريان التيار الكهربائي الشديد في اسلاك خاصة ذات مقاومة العالية، التي كانت السبب في حدوث الصدمة الكهربائية، بالإضافة إلى تحوّل المركب الحلقي إلى حالته السائلة، يبدو أنني قد توصلت أخيرًا إلى حلّ هذا اللغز المعقد، وأعتقد أنني قد كوّنت أيضًا رأيًا متماسكًا عن هوية الفاعل، يجب أن أنطلق من فوري وأبلغ الضابط عبد الكريم بالنتائج التي توصّلت إليها، وأحكم اخيرا الكشف على اللغز الخطير، شكرًا على تعاونك معي وإلى اللقاء..

الفصل التاسع

أخذت القضية الغامضة التي نواجهها تطوي فصولها الأخيرة، في انتظار قريب للحل النهائي، على أمل في انفراج أكيد هذه المرة، فصحيح أن قضيتنا أخذت أبعادًا غير مألوفة في هيئة تكوينها منذ البداية، واستحالت لوقت طويل على الاستيعاب، ولكننا إذا أخذنا في الاعتبار العناصر التي وظفت فيها بفاعلية، كعناصر الزمان والمكان، والتي كانت هي العامل الرئيس في آلية عملها، وأحكمنا التلاعب بهذه العناصر بطريقة جيدة، فسنستطيع التغلب على مستوى الدهاء الذي حيكت به، وسنتوصل في آخر المطاف إلى نتيجة منطقية مذهلة، تفوق في مستواها كل ما يستطيع التفكير المحدود إدراكه، فحتى إن بلغت العقلية الخبيثة دروتها واستطالت إمكاناتها لوقت طويل، ستجد في نهاية المآل ما يفقدها قيمتها بمنتهى البساطة، ففي هذه المرحلة بالذات أدركت أخيرًا الطبيعة الحقيقية لطريقة نشؤ هذه الجريمة وآلية عملها، وامتلكت الرأي السديد عن الهوية الحقيقية لمرتكبها،

ولو بقيت لي حتى الآن بعض الجزئيات التي وجب عليّ أن أضيفها لاحقًا حتى يكتمل ملف التحقيق، لذا انطلقت مسرعًا مع المعاون تجاه مسرح الجريمة بعربة تنهب التراب نهبًا، في حين كانت الساعة قد قاربت الثالثة فجرًا، لألقي نظرة أخيرة على المسرح الحقيقي للجريمة، وأجد ذلك الدليل الدامغ الذي لطالما غاب عن بالي منذ البداية، حتى أستطيع من خلاله ربط جميع جزئيات الحادثة بعضها إلى بعض في خط مستقيم، وأوثقها في آخر المطاف إلى يدي المجرم الحقيقي.

ترجَّلت على عجل لحظة وصولي للموقع، وأمرت المعاون أن يجمع في محل الإنترنت كل من كانت له صلة بالضحية، حتى يتسنى لنا لاحقًا استدعاؤهم دفعة واحدة إلى الشقة في وقت إعلان هوية مرتكب الجريمة، فصعدت السلالم مسرعًا ودلفت إلى شقة الضحية، فوجدت الضابط عبد الكريم ممسكًا ببعض الأوراق منهمكًا في مراجعتها، وبجانبه (شيخ الحارة)، وتفاجأت حينما بادرني قائلًا:

- لقد كنت منتظرًا وصولك، لديَّ بعض الأخبار المشوقة التي وصلت حديثًا.

رددت عليه وقلت بحماس وحرارة:

- وأنا أيضًا قد توصَّلت إلى نتيجة مذهلة لم تكن في الحسبان...

فيمَّمت اولا شطر لوحة القواطع الكهربائية العائدة للشقة لأتأكد من شيءٍ ما، ثم توجَّهت فور انتهائي إلى الشرفة، وتبعني كل من الضابط وخبير جمع الأدلة، وأخذت أتفقد سياج الشرفة عن كتب لبعض الوقت، وقلت وأنا منصبٌّ في عملي:

- أتذكر في ذلك الوقت عندما لم نستطع أن نحدد الكيفية التي جعلت المركَّب الدهني الذي كان سببًا في انزلاق الضحية وسقوطه يظهر بحالته المسالة.

رد الضابط عبد الكريم:

- نعم أتذكر...، وقلت أيضًا أنه احتاج لمصدر حراري مرتفع، ولكننا عندما فتشنا الشقة وقتها، لم نجد أي دليل على وجود المصدر الحراري.

- نعم...، وقلت أيضًا أنه قد يكون ذا علاقة مباشرة بالحادث...!

- أتقصد الموقد، رد عبد الكريم...؟!

- نعم الموقد، أوتدري لماذا لم نستطع العثور على الموقد في ذلك الحين...!!!

- لماذا...، أنا لا أفهم ما ترمي إليه...!

فالتفتُّ إليه وقلت وطرف ابتسامة خبيثة تبرز على نواجدي:

- أنا سأقول لك...، لأننا كنا جميعًا ننظر للجانب الخاطئ...

أنا لم أفهم أي شيء مما تقول...!!!، وما الذي جد الآن...؟؟؟

- حسنًا جدًّا...، سأوضح لك أكثر، لأن الأمر بمنتهى البساطة، ولأن ما تراه الآن أمامك الان هو الموقد الذي كنا نبحث عنه مند البداية، وأشارت بيدي أمامه...

- تعجب كل من الضابط عبد الكريم وخبير جمع الأدلة من تفسيري المبهم فاستدرك الضابط الكلام باستغراب شديد وقال:

- أين هو إذًا، إني لا أراه...!؟

- إنه هنا، ووضعت يدي على سياج الشرفة الحديدي ثم قلت:

- لقد كان موجودًا أمامنا طوال الوقت ولم نستطع ملاحظته...

هتف الضابط عبد الكريم بانفعال وقال:

- كيف لهذا الأمر أن يحدث، أنا لا أصدق شيئًا...؟!

- بلى صدِّقْ، وانظر لأسفل السياج، للشريط السفلي ماذا ستجد.

- دنى خبير جمع الأدلة يتلمَّس الشريط السفلي للسياج، وإذا به ينتزع سلكًا معدنيًّا طويلًا ثُبِّت عنوة أسفله، فهتف الضابط مرة أخرى في ذهول وإنبهار وقال:

- ما هذا الشيء...؟؟؟

- هذا سلك خاصّ مكوّن من سبيكة النيكل كروم، ذو قدرة عالية على مقاومة مرور التيار الكهربائي، نستطيع بكل سهولة أن نحصل على درجة حرارة مرتفعة بمجرد أن نمرر التيار الكهربائي عبره، كما في حال المكواة الكهربائية وجهاز سخان الماء، ويمكنك التأكد من صحة كلامي بقياس المقاومة بين طرفي السلك باستخدام جهاز الافوميتر، وإذا نظرت إلى أسفل الشرفة من الخارج، سترى جزءًا من السلك الكهربائي المستخدم لإنارة مصابيح لوحة محل الإنترنت التي في الطابق الأرضي، قد خرق

بمقدار يسمح لتوصيل التيار الكهربائي لطرفي سلك النيكل كروم، والذي سبق وثبِّت به بعد ان الصق باسفل السياج، وبذات الأمر يصبح كامل سياج الشرفة موصلًا للتيار الصاعق بحكم انه معزول تماما من اي غلاف، وهذا هو الجزء الثاني الذي استخدمه المجرم لإتمام خدعتة الخاصة.

لم يصل صديقنا أحمد مهران لهذه المرحلة من التفسير حتى تجمَّدت ملامح كلا الضابط عبد الكريم وخبير جمع الأدلة عن آخرها، وخارت ألبابهم عن التصديق، فتدارك صديقنا الموقف وقال مبتسمًا بتودة:

- هذا ما توصّلت إليه حتى الآن، بقي عليّ خطوة أخيرة لأتمها، حتى أتأكد من الهوية الحقيقية للمشتبه به، ويغلق بعدها نهائيا ملف التحقيق في القضية.

أردف الضابط عبد الكريم قائلا:

- جيد جدا ما قمت به حتى الآن...، ولكن انظر لما أحضره (شيخ الحارة) من منزل الجدّة، لأنني لا أعتقد أنه يقل كثيرًا عن قيمة استنتاجك الأخير.

ناولني الضابط كيسًا بلاستيكيًا مليئًا بالأوراق ومظروفًا صغيرًا احتوى على ورقة صغيرة بها رقم تسلسلي وبطاقة ائتمان مصرفية، فقلت بعد أن تفحّصت المحتويات بعناية وقلبت الموضوع في رأسي:

- هكذا إذًا...، الآن بتُّ على يقين من الدوافع الحقيقية التي جعلت المجرم الخبيث يقدم على فعلته النكراء، أرجو استدعاء المعاون إلى هنا، لأنني أرغب بإعطائه مهمة أخيرة لينجزها.

أقبل المعاون من فوره فطلبت منه طلبًا بسيطًا على أن ينفذه بمنتهى السرية والتكتم، بمجرد أن يصعد الجميع للشقة، ليمتلك حينها الوقت الكافي والغطاء المناسب الذي يمكنه من إتمام مهمتة والرجوع ببقية الدليل الدامغ الذي يدين المشتبه به، فانطلق صوب هدفة بمجرد أن صعدوا جميعًا إلى الشقة، وفي نفس الوقت اتفقت مع الضابط عبد الكريم على خطة نستطيع من خلالها كشف الهوية الحقيقية للمجرم نتبادل فيها الادوار وها قد اتى وقتها...

تقدم الضابط ليقوم بعمله ويتكلم مع الحاضرين يخبرهم عن النتيجة النهائية التي توصل إليها، والذين كانوا في مجملهم ممن كان لهم علاقة بمحل الإنترنت بالإضافة إلى (شيخ الحارة)، والأستاذ فضل جار الضحية، وابن عمتي حسام حيث أصر هو الآخر على التواجد لأجل معرفة الحقيقة الكاملة لموت صديقه عمار.

بدأ الضابط الكلام تحت أعين المتابعين له وقال بصوت هادئ رصين:

- أعتقد جميعًا أنكم تتساءلون عن السبب الاساسي في استدعائكم إلى هذا المكان، ولعل البعض أيضًا يتساءل هل لذلك علاقة بمعرفة مستوى التقدم الذي وصلنا إليه في التحقيق، وعن الخاتمة التي ستنتهي بها القضية، ولكنني قبل ذلك سأقول لكم شيئًا آخر، دعوني أطلعكم اولا على الطريقة التي اتبعها المجرم ليستطيع تنفيذ مخططه الآثم، لذا أرجو منكم أن تصغوا جيدًا لما سيقوله السيد مهران:

وقفت عندها أمام الجميع متطلعًا في وجوههم الحائرة والمتعطشة للحقيقة في ان واحد وقلت مستفتحا كلامي:

- مساء الخير ايها السادة، وإن كان القول متأخرًا بعض الوقت، أشكر الضابط عبد الكريم قبل كل شيء على كلمته القصيرة، وأرجو من سيادتكم أن تستمعوا إلي بصبر لما سأقوله لكم، لأن الشرح طويل ومعقد بعض الشيء، ولكنني أعدكم أنه فور انتهائي من التفسير، سنصل لنتيجة مقنعة تكشف الغموض الذي اكتنف الحادث، وتزيل الطبقة القاتمة التي غلفتة حتى الان لدى حتى ذلك الحين أتمنى أن تتحملوني برحابة صدر، وها هو إليكم السيناريو الذي حدث.

- في بادئ الأمر وجد الضحية مرميًّا على رصيف الشارع بعد أن رمى نفسه من شرفة شقته، وهذا ما اعتقده البعض منذ الوهلة الاولى، مع أنه اعتقاد خاطئ تمامًا، لأنني سأقول لكم أنه أمر غير صحيح بتاتًا، فما حصل بالواقع هو أن الضحية رميت بفعل فاعل...

هتف الأستاذ فضل مقاطعًا كلامي بانفعال وعصبية والاوردة السطحية تبرز بشدة على جبهتة وقال:

- هل تريد أن تقول أن الذي وقع هنا هي جريمة قتل...؟

- نعم...، لقد وقعت جريمة قتل...

- كيف ذلك والشقة مغلقة من الداخل ولم يكن مع الضحية أي شخص لحظة سقوطه...؟

- أنا سأقول لك...، لأن الضحية وقعت بعد أن أصابتها صدمة كهربائية، اضعفت قدرتها على التحكم بحركتها وأدت إلى فقدانها التوازن، بمجرد أن مست بيدها سياج الشرفة...

همهم الجميع عندها واضطربوا قليلًا، ولكن الضابط عبد الكريم هدَّأهم، مما مكنني من المواصلة، وقلت مكملًا:

الجميع يتساءل كيف أصبحت الشرفة خطرة بهذه الطريقة، إذ أن القاتل خطط لذلك قبلًا بعناية ومنذ وقت طويل، حيث ان القاتل صعد إلى شقة الضحية قبل يومين من وقوع الحادث، بعد أن سمح له الضحية بذلك، وكان حينها على علم بأمر السلك الموصل للوحة الظوئية للمحل، والساعات المحددة لإضاءتها، فغافل الضحية بطريقة ما، وثبَّت سلكا معزولًا من النيكل كروم أسفل الشرفة مستفيدًا من خلو السياج من أي مادة عازلة، وأوصله إلى سلك إضاءة اللوحة بطريقة خاصة، بعد تأكده من خلوه من التيار، وقام كخطوة أخيرة له بتغطية سلك النيكل كروم بكمية

من المادة الشحمية، والتي ستذوب لاحقًا، وتنساب منتشرة على طول أرضية الشرفة، بمجرد أن يسري التيار الكهربائي في سلك لوحة المحل، مستفيدًا من انشغال الضحية في ذاك الوقت بأعمال الترميم بعيدًا عن الشرفة، فقام بذلك كله مع علمه أن الضحية ستمكث يومها خارج الشقة، حيث ان مفتاح تشغيل لوحة اعلان محل الانترنت تقبع في شقة الضحية، وسلك توصيل التيار موصول إليها، فلن يكون بمقدور الضحية وقتها تشغيل اللوحة المحل لمدة يومين لاحقين، وسيهمد الفخ حينئد، وهذا ما سيبعد القاتل عن دائرة الشبهات، ثم ستجد الضحية الفخ في انتظارها بمجرد أن تعود للشقة في اليوم الثالث، لتقوم بتفعيله بنفسها ومن غير علمها في الساعة السادسة مساءً حسب التوقيت المدبر له، لتكون الضحية بعدها مع لقاء بمصيرها المحتوم...

جفل الجميع وشخصت أبصارهم عند هذه النقطة، بعد سماع التفسير الغريب للتركيبة التي اتبعها المجرم لتنفيذ خطته الماكرة، فبادر قصي متسائلًا بفزع والعرق البارد يتفصد من جبهته وقال:

- أتعني أن القاتل واحد منا....!؟

- نعم وللأسف...

بقي الوضع كما هو، وطغى شعور بالخوف والقلق على اغلب الحاضرين، ليس من خطر محدق، ولكن بعد معرفتهم أن صديقهم مات مقتولًا، فأكملت سردي للأحداث محاولًا أن أخرج عن هذا النزوح وقلت:

لم يكن هذا كل شيء، إذ التزم القاتل بتسلسل متقن لإحكام تنفيذ خطته، فلكي يجعل الضحية تقفز مهرولة للشرفة لتقع مباشرة في الفخ من غير إدراكها، تعمد الاتصال بها قبل ذلك بعدة دقائق وافتعل مشادة كلامية في فترة اعتاد الضحية فيها يوميًا على التوجه إلى الشرفة - لقضاء حاجة يعلمها الجميع - وعندما تأكد من أن الضحية امتلأت بقدر كبير من الغضب والانفعال، طلبت منها أن تتوجه مباشرة للشرفة في الحال، حتى ترى وجه من يتصل بها أسفل العمارة، برغم أن القاتل لم يكن متواجدًا بالقرب بتاتًا، وفي الوقت الذي يكون فيه الفخ قد اكتمل وبلغ نصابه، فما أن هرعت الضحية للشرفة ووضعت يدها على السياج المكشوف لتطل برأسها وتدنو للأسفل بحركة خطيرة، حتى أصابتها الصدمة الكهربائية، فاختل توازنها واختلج جسدها وفقدت مقدارا كبيرا من القدرة على التحكم

بعضلات جسدها ومالت إلى الخارج، وكانت المادة الدهنية المسالة التي انتشرت قبلًا على طول أرضية الشرفة قد أدّت عملها وغطت أقدام الضحية بالكامل، فانزلق المسكين وهوى من إثرها إلى الأسفل من دون أي مقاومة تذكر تحت قوة عجلة الجاذبية، لتستقر بعدئذٍ في نزعها الأخير على رصيف الشارع بعد ان يكون التيار الكهربائي قد قطع عن كامل اجزاء الشرفة كرد فعل عن الخلل الكهربائي الذي اصاب لوحة المفاتيح، ولتبدو الجريمة للجميع بعدها وكأنها حادث عرضي لا أكثر...

صمت لبرهة لأخد نفس واستعديت لتسديد ضربتي الاخيرة للمشتبه به وقلت:

أوتدرون من له مصلحة في موت الضحية، أوتدرون من يستطيع أن يقوم بذلك كله من دون ان يثير اي شبهات، إنه أنت يا ساهر...

الفصل العاشر

ثبَّتُّ نظري مباشرة على ساهر، والذي بدى ممتعضًا بشدّة، إذ تغيرت ملامح وجهه بطريقة منفِّرة، وأخذ يلوك بشفتيه باستفزاز، فبُهت الجميع من المشهد، وبقوا في وضعٍ متجمِّد، اعتراه سكوت مطبق، حتى إنني تخيلت أنهم نسو قدرتهم على النطق، ولكنني لم أكن قد أكملت من سردي للوقائع إلا وبدأ ساهر التملُّص من الأمر وقال بطريقته المعهودة:

(هيا ملا كيف سكتنا لكم كثير، قلتوا معاكم تحقيق، قلنا تمام، قلتوا تشتونحنا قلنا حاضر، هيا دلحين اش معانا ومعاكم، وايش الدليل حقكم قبل هذا كله انو أنا اللي قتلت عمار، مكالمة التلفون يعني ولا كيف)...؟؟؟

رددتُ عليه متحديا ومستخفا بكلامه وقلت:

- تريد الدليل، بالطبع ليس المكالمة الهاتفية كما ترجو، لأن هاتف الضحية قد أتلف نتيجة الصدمة الكهربائية، ولا أعتقد أن الشركة الموفرة للخدمة ستفيدنا كثيرًا، لأنك ربما قد تكون قد اتصلت من رقم غير

معروف، ولكن دعني أكمل لك بقية التحليل لتتأكد من أننا أحكمنا قبضتنا عليك، فقبل كل شيء كانت هنالك عقبة كبيرة تتمثل في بقاء التيار الكهربائي ساريًا في سياج الشرفة بعد سقوط الضحية، ولذلك حرصت على أن تتلف بعض من اجزاء لوحة القواطع كناتج عن عمل الفخ، لتضمن وقتها انقطاع التيار عن كامل الشقة والتي يأخذ منها سلك التوصيل للوحة محل الانترنت والذي اخد منه تيار سياج الشرفة الصادم، ولكن فوق ذلك كله لم تكن الخطة لتكتمل، لو نقل التحقيق إلى داخل الشقة وأصلحت لوحة القواطع من قبل شخص اخر، وعاد التيار لحالته السابقة، كون ذلك يشكل خطرًا جسيمًا على نجاح خطتك، فيعود فخّ الشرفة للعمل، وتنكشف الخدعة بمنتهى البساطة، فعمدت إلى البقاء بالجوار على حسب ظني بعد وقوع الجريمة، لتتأكد من نجاح خطتك وتطلع على اخر الاخبار اولا بأول، وعندما قرر البوليس نقل التحقيق إلى داخل الشقة برغم ان ذلك كان احتمال مستبعدا بدرجة كبيرة، واحتاج مهندسًا كهربائيًا كأمر بديهي، قدمت نفسك بطريقة ملتوية وماكرة عبر افتعال مشادة كلامية مع الامني اسفل العمارة لتجذب الأنظار ولتحاول إنقاد ما يمكن إنقاذه، وتكون أنت

حاضرًا وقتها أمام الجميع، فعدت لساحة الجريمة عندئذ ببساطةٍ، وتنقَّلت بحرية مطلقة من دون أن تثير أي شبهات، وهكذا أتممت عملك واطمأنيت نهائيًّا لنجاح خطتك القاتلة، ولكن ما حصل للمحول الذي توسط الشقتين اضعف تماسك خطتك المحكمة فلم تكن على علم وقتها من ان هذا النوع الجديد من المحولات يغلق الياً بمجرد ان يستشعر ادنى اطراب في اقرب نقطة موصلة به إذ اعتقدت سابقا ان الاغلاق سيخص شقة عمار وحدة وستشرع بإصلاحه لاحقة بمجرد ان يغلق ملف القضية كما خططت ولم تضع في الحسبان ان ينقطع التيار الكهربائي عن شقة الاستاذ فضل ايضا حتى امسى ذلك الخطأ شاهداً عليك، فكانت هذه هي الضربة القاسمة التي أحدثت الصدع الخطير في خطتك بمجرد ان علمنا بموعد الانقطاع بالتفصيل وبدأت حينها الشكوك تراودني بأن هنالك من يحاول خداع رجال البوليس ويعبث بمجريات القضية...

بمجرد أن نطقت بآخر كلمات التحليل، حتى تغيرت ملامح ساهر بطريقة مفزعة جدًا، فقد ارتسمت ابتسامة ساخرة بلهاء وبليدة على طول وجهه، وفاه فمه بطريقة غريبة، وفرغت عيناه تمامًا من أي تعبير أو عواطف يتسم بها الإنسان الطبيعي، فبدا كغريبي الأطوار أو المختلين عقليًّا، ولكن الضابط عبد الكريم لم يسمح لهذه المهزلة أن تستمر طويلًا فقال مشيرًا إلى أحد الحراس:

- خذه معك الآن إلى القسم لنكمل التحقيق هناك...

لكن ساهر غيَّر من موقفه على الفور وقال هاتفًا للضابط بتدلُّلٍ وهوان مصطنعٍ:

- (ملا أنا اش سويت حرام عليكم، ليش تعملوا بي كدا، مافيش أي دليل مقنع ضدي، ويمكن يكون أي واحد عمل هذا كله وحنبنا بداله، ولا يمكن أنتم ما لاقيتوش أحد تاني تحملنه المسؤولية فجدلتوا بها فوقي أنا المسكين، ولا كيف يقع يا حضرة ابو العريف)

قالها ملقيًا إياها تجاهي في آخر الكلام بنبرة مستفزة، ولكنني لم أدع له أي مجال ليتمادى أكثر، فقلت مشيرًا بيدي لتخترق صفوف الحاظرين مباشرة تجاه درج العمارة:

- إنه هناك...، الدليل الذي تبحث عنه...

فإذا بالمعاون يطل من باب الشقة، عائدًا بمجرَّد أن أنهى المهمة الموكلة إليه، وبيده بكرة كبيرة احتوت على سلك طويل ملفوف، بدا وكأنه من نفس نوعية السلك الذي استخدم لتوصيل التيار الكهربائي وتسخين المادة الدهنية، وأكملت حينها مخاطباً الجميع وقلت:

- هذا النوع من الأسلاك يأتي بطول اثنين وسبعين مترًا في البكرة الواحدة، كما هو مدون على غلافها الجانبي، ثم وجهت كلامي إلى المعاون رأفت وقلت له:

- من أين أتيت بهذه البكرة...؟

أجاب المعاون: من باص المشتبه به.

- وكم مقدار ما عددته من طولها...؟

اتنان وستون مترًا وثلاثة وستون سنتيمترًا.

- وكم إذًا تبقَّى من طولها...؟

تبقى تسعة أمتار وسبعة وثلاثون سنتيمترًا.

وأشرت بيدي مرة اخرى مستديرًا إلى الشرفة وقلت:

- بقية السلك موجود هناك وسنرى كم سيبلغ طوله.

تقدم مختصّ جمع الأدلة وقام بقياس السلك المتبقى بدقة عالية وهتف قائلا بذهول بعد بضعة دقائق:

- يا إلهي...، ما الذي أراه الآن أمامي، إنه أمر لا يصدق...

فهتف الضابط عبد الكريم بدورة وقال:

- ماذا هنالك كم بلغ طول السلك اخبرني سريعا...؟!

رد خبير جمع الأدلة وقال:

- سيدي...، إنه كما قال هذا الشاب بالضبط...، تسعة أمتار وسبعة وثلاثون سنتيمترًا بالتمام والكمال، فلا يوجد للصدفة أي مجالٍ، ولا حتى في أبعد تقدير...

لم ينتظر ساهر كثيرًا بعد أن انكشف الدليل الأخير، إذ ظهر أخيرًا على حقيقته فأطلق صيحة عالية بصخب، أربكت الجميع، وطوَّق (شيخ

الحارة) من رقبته، بعد أن استلَّ مشرطًا حادًا من أحد جيوبه، وقام بتوجيهه إلى رقبة (شيخ الحارة) مهددًا الجميع، مما أثار فزعهم واضطرابهم، ما عدا الضابط عبد الكريم الذي أظهر رباطة جأش وثبات، فأخرج هو الآخر مسدسه الخاص ووجهه إلى رأس ساهر صارخاً في وجهه بشدة قائلا:

اترك الرجل وشأنه...

رد ساهر بصراخ هستيري واللعاب يتطاير مع كلماته:

(هادي فلوسي أنا مش حقه، هو ما يستحق شي، هذا السارق الحقير، هادي كلها فلوسي انا)

كرر الضابط عبد الكريم مطلبه مرة أخرى، في حين أحاط كلٌّ من المعاون والحراس بالمشتبه به، لكن ساهر سبقهم وتراجع ببطء تحت تهديد السلاح تجاه درج العمارة، فما أن أصبح خارج الشقة حتى دفع (شيخ الحارة) بقوة تجاه الجميع ليسد الطريق أمامهم، ونزل بسرعة عجيبة يقفز على الدرج، فانطلق المعاون في إثره مظهرًا شجاعة وعزيمة منقطعة النظير، ثم تبعه الجميع وسط الهياج الشديد والصراخ الهستيري الشبية بصوت الحيوانات الذي أطلقه ساهر وقتها، وأيقظ كل سكان العمارة، ولربما قام

بذلك كله لسبب ما أو لعلها غريزة خبيثة، حتى إذا أصبحنا كلنا في الشارع في تلك الساعة من الفجر، وجدناه أمام بوابة محل الإنترنت محتجزًا أحد المارة، ومشيرًا بسلاحه إلى عنق الرهينة، متجاهلًا الدماء التي قد سالت جراء انغراز جزءٍ من المشرط في عنق المسكين، وما زال على هذا الحال حتى أحيط به من قبل رجال البوليس من كل جانب، وسط الصراخ والوعيد الشديد الذي تقاذفته الألسنة، فعجزت لحظتها عن القيام بأي شيء ممكن، حينما رأيت الموقف وصل إلى هذا المستوى من الخطورة، حيث أصبحت كل السيناريوهات المتوقعة قاتمة مضرجة بالحمرة، ولكن الموقف الحرج لم يطل أكثر، فقد مال غلى غرة جزء من لوحة المحل الإنترنت وانفتقت مساميرها جراء المطر الذي انهمر البارحة، فهوت بقوة على راس ساهر وأنهت كل شيء...

انتهت قضيتنا الغامضة بطريقة غير متوقعة إطلاقًا، إذ فرضت المشيئة الإلهية كلمتها في الأخير، ومضى الكل في سبيله، وعدنا صباحها إلى المنزل، وأخذت معي بعض من قطع (الخمير) كانت الجدة سوسن قد أعدتها لنا خصيصًا كعربون شكر على المساعدة التي قدمناها، وقام الضابط

عبد الكريم بإيصالنا بنفسه إلى محل إقامتنا عرفانًا لي وتقديراً لجهودي، وقال حينما وصلنا:

أشكرك أيها الشاب على الخدمة التي قدمتها لنا، ولن ننسى أبدًا هذا الجميل، خذ هذه بطاقتي التعريفية، واتصل بي إذا واجهتك أي مشاكل، ومضى في طريقه، ثم توقفنا أمام بوابة المنزل فقال حسام مسترسلًا:

أخيرًا انتهت القضية على خير ما يرام، ولقي ساهر ما يستحق، برغم أنني متفاجئ كيف حدث ذلك كله...!

لا تستغرب أي شيء، فأي أمر بالإمكان أن يحدث هكذا فجأة، ومن دون أي مقدمات، ففي خضم هذه التجربة الفظيعة التي مررنا بها، اتضح مؤخرًا أن ساهر اختلس مبلغًا كبيرًا من إيرادات المحل بغير حق، ومن دون علم الجميع، إلى أن اكتشفه عمار مصادفة، فألزمه بالإمضاء على كمبيالات بمقدار ما أخذ من مال، حتى تكون دينًا عليه، ثم أودع ايرادات المحل المتبقية في حساب بنكي، وترك الكمبيالات وتفاصيل حسابه بحوزة جدته، بعدما أحس شرًّا من جانب ساهر، ولكن ساهر عندما عجز عن تسديد ما عليه من ديون، أقدم على جريمته، ليستطيع أن يتخلص من دينه

ولا تظهر الكمبيالات لأي أحد، ويستلم بعدها نصيبه من المحل، وبذلك يصيب عصفورين بحجر واحد، فتصادف أن ساهر هو من قام بمهاتفة التاجر بمجرد أن أقدم على جريمته، وذلك باعتراف التاجر نفسه، ثم أمن أن جريمته لن تكتشف وسط التعقيد الذي نسج به مخططة، فصحيح أن القضية قد استصعبت عليّ في البداية بعض الشيء، إذ كانت معقدة في تركيبها، حتى أن القاتل نفسه لم يستطع نصب فخه دفعة واحدة، بل اضطر لتجزئته إلى عدة مراحل متتالية، ليظهر في الأخير بصيغته المعقدة، والتي يطلق عليها باسم (جريمة في الغرفة مغلقة)، ولكن أنَّى له ذلك، فمثلما تُدِين تُدَان، ولقي ذلك الفاشل جزاء أفعاله، فالعاقبة الأخلاقية دائمًا ما تأتي قاسية جدًّا في نهاية المطاف، وعلى حسب المثل العدني القائل (على حساب الناس)...

أردف حسام ساخرًا بتهكم:

- (تحلى عيشة الناقص)، صحيح ما قلت يا ابن خالي، فإن الناقص في العقل والأخلاق تكون هكذا نهايته دائمًا، ولكن قل لي صدقاً أتظن أن ساهر كان سينثني عن عملته إذا نصحه شخص ما من قبل...؟

- لا أظن ذلك إطلاقًا...؛ لأن العقليات الإجرامية تواجه دائمًا صعوبة في التعلم والتغير وذلك لأسباب تكوينية بحتة، وإلا لكانت السجون خالية من المجرمين...

- ثم أردفت لحسام حين لاحظت سلة كبيرة كان يحملها معه منذ مغادرتنا وقلت:

- ما ذلك الذي تحمله بيدك...؟

- ماذا...، هذه...، هذه هدية زفاف عمار كان قصي قد اشتراها منذ فترة، ولكنه لم يعد بحاجة إليها بعد الآن، فأعطاه لنا.

- ودنوت لا فتح غطاء السلة، فإذا بكائن صغير ذي فرو ناعم يطل بعيون ناعسة، فقلت مبتهجًا حينما رأيته:

- أوه يا إلهي...، إنها قطته صغيرة، يا للدهشة، إنها قطة روسية على وجه التحديد...

رد حسام مغمغمًا سؤاله:

- وكيف عرفت أنها روسية...؟!

من فرائها الرمادي واللون الأخضر لعينيها، لكن خذها لا أريدها، لأنها ستفزع باباروت...

- ولكن ماذا عن بطارية السيارة، ألم تقل بأنك ستهتم بشأنها.

أعطيت حسامًا علبة المشروب الغازي وقلت وأنا داخل للمنزل:

- صب المشروب الغازي على أقطاب البطارية بحذر، ثم قم بتنظيفها جيدًا، وهكذا تنتهي المشكلة...

- هكذا فقط...، حسنًا لك ذلك...

تمت...